البسطات ...ما الحل؟

■ شوارع المدن السورية المكتظة بالسكان تزدحم بالبسطات، والبسطات المتنقلة أو الاقتصاد الصغير جداً، ولا تتوقف حركة البائعين الذين يقضون يومهم وهم يتنقلون بين رصيف وآخر، وشارع وغيره حيث يحتشد الناس، وخصوصاً على أبواب المؤسسات والإدارات التي ترتبط بها مصالح الناس مثل دائرة الهجرة والجوازات وغيرها..

تفاصيل ص٢

التعفيش والعودة إلى نقطة الصفر

■ العودة إلى نقطة الصفر... أربع كلمات باتت تجسد حال السوريين المهجّرين اليوم، فقد خرجوا من بيوتهم بحثاً عن أمن مفقود، ومن يعلم ما إن كان ذاك المسكن أحيل إلى أنقاض أم أنه مازال واقفاً ينتظر عودة أهله ليبثوا الحياة من جديد في هوائه الجاف، وأن يضعوا لمساتهم المرتبة على أثاثه المبعثر المغبر، ذلك الأثاث نفسه الذي سُحب من بين جدران منازلهم مرغماً، ليوضع في سيارات كبيرة ويرمى في مستودعات كانت مهجورة.

تفاصيل ص٤

البلطجة الأمريكية والعدوان على سورية والشرعية الدولية ص٣

الفن العربي بين الدور الرسولي والدور الجمالي الترفيهي ص٦

دول عدم الانحياز طالبت «إسرائيل» بالانسحاب غير المشروط من الجولان

■ شدد وزراء خارجية دول حركة عدم الانحياز على ضرورة التوصل إلى حل سياسي سلمي للأزمة في سورية، وأدانوا الإرهاب الذي يستهدفها، داعين إلى محاسبة الاحتلال الإسرائيلي على الاعتداءات التي ارتكبها مؤخراً ضد هذا البلد، ومطالبين إياه بالانسحاب الكامل من الجولان السوري المحتل، حتى خط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧.

النور

أسبوعية . سياسية . ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
www.an-nour.com

وسائط دفاعنا الجوي تتصدى لعدوان إسرائيلي بالصواريخ على مطار التيفور وتسقط عدداً منها

■ أعلن مصدر عسكري أن العدوان الإسرائيلي على مطار التيفور صباح الاثنين ٢٠١٨/٤/٩ قامت به طائرات من طراز (أف ١٥) أطلقت عدة صواريخ من فوق الأراضي اللبنانية. وفي وقت سابق ذكر المصدر أن وسائط دفاعنا الجوي تصدت للعدوان بالصواريخ على مطار التيفور وأسقطت ٨ منها. وقال المصدر إن العدوان أسفر عن ارتقاء شهداء ووقوع جرحى.

السنة السابعة عشرة ـ العدد ٨١٠ ـ الأربعاء ١١ نيسان ٢٠١٨ | ٨ صفحات | ٢٥ ليرة سورية | ANNOUR - Wednesday 11 April 2018 - No. 810

بعد تنفيذ اتفاق دوما

سورية ماضية إلى إفشال مخطط الأمريكيين

■ مساء الأحد ٢٠١٨/٤/٨، أعلن عودة (جيش الإسلام) إلى الالتزام بتنفيذ الاتفاق الذي أبرم سابقاً مع الحكومة السورية، بوساطة روسية، بعد أن كان، قبل ذلك، قد خرق هذا الاتفاق، وأمطر العاصمة دمشق بعشرات القذائف والصواريخ، التي أدّت إلى استشهاد وجرح العشرات من السكان الأبرياء، مما دفع الجيش السوري إلى توجيه ضربات مركّزة إلى أماكن تمركز مسلحي دوما، أجبرتهم على تنفيذ ما اتُّفق عليه، واستئناف عملية الخروج من مدينة دوما، وإطلاق سراح المخطوفين والأسرى.

هذا الإنجاز الذي أحرزه الجيش السوري، والذي اتصف بالقوة، والحكمة، يضاف إلى إنجازاته السابقة في بلدات الغوطة الشرقية، وذلك كله أدّى ويؤدي إلى تفكيك الطوق الذي حاول الإرهابيون، على مدى سنوات، إحكامه حول العاصمة دمشق، وإلى إنهاء هذا الطوق، بعد أن يستكمل استعادة الضاحية الجنوبية من إرهابيي النصرة وداعش وحلفائهم.

هذا الإنجاز الذي حققه الجيش السوري، جاء متزامناً مع تهديد شديد اللهجة، وجّهه الرئيس الأمريكي ترامب، لسورية وروسيا وإيران، متذرعاً باستخدام (مزعوم) لأسلحة كيميائية في الغوطة ودوما، مردّداً مزاعم مفبركة وجّهها داعمو الإرهاب في سورية. وجاء الرد السوري والروسي قوياً ومفنّداً لمزاعم استخدام السلاح الكيميائي، ومؤكداً خطورة التهديدات الأمريكية المبنية على مزاعم تفتقد إلى المصداقية، وارتقى الرد الروسي إلى مرتبة الإنذار بضرب القواعد والسفن التي تنطلق منها صواريخ موجّهة إلى سورية.

إن تحرير الغوطة الشرقية يعدّ بجميع المقاييس فشلاً ذريعاً لمخططات التحالف الدولي المعادي لسورية، الذي تقوده الولايات المتحدة، وهي سعت وستسعى إلى إطالة أمد الحرب على سورية، عبر دعمها المستمر، والمتعدد الجوانب للإرهابيين، واشتغالها في الوقت ذاته على تقسيم سورية، بالتناغم مع العدوان التركي على الأراضي السورية، واحتلال عفرين، وتشريد سكانها، ومحاولة تغيير بنيتها الديمغرافية، مستغلةً، في الوقت ذاته، إلى الحد الأقصى، السذاجة وقصر النظر لدى بعض القادة من إخوتنا الأكراد.

● التتمة ص٧

قبل إعداد التشريع الجديد..

العدالة الضريبية يا حكومة!

■ كتب المحرر الاقتصادي:

■ حسب تصريحات وزير المالية، يجري الإعداد لقانون جديد للضرائب، ويعملون في وزارة المالية على تدقيق كل كلمة في المشروع الجديد كي لا تحتمل التأويل.

قانون جديد للضرائب، مطلب ألحّ على وضعه الجميع، فلم يعد مقبولاً العمل بموجب قانون وضع قبل ٧٠ سنة، لكن الجميع أيضاً يتوقعون تشريعاً يأخذ بالحسبان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، والسياسات الاقتصادية التي ستدير دفة الاقتصاد السوري في المرحلة القادمة من جهة، وأيضاً مراعاة مبدأ العدالة بين فئات الشعب السوري المختلفة من جهة ثانية، خاصة أن السياسة الضريبية لأي دولة تعد أداة الحكومة في إعادة توزيع الدخل الوطني وفق مقتضيات العدالة، إذ تأخذ من الأغنياء وأصحاب الأرباح والريوع، لتغطية مشاريع تستفيد منها الفئات الفقيرة والمتوسطة.

صحيح أن خزينة الدولة هي (جيوب) رعاياها، لكن الصحيح أيضاً أن هؤلاء الرعايا ليسوا متساوين في القدرات، فلا يجوز على سبيل المثال أن تبلغ الضريبة على الأجور أكثر من ٢٠٪ في حين يدفع أصحاب الأرباح والريوع ١٥٪. لذلك نأمل من وزارة المالية لا أن تستعين فقط بتشريعات الدول الأخرى، بل كذلك أن تنسّق مع القيادة العليا في البلاد حول النهج الاقتصادي والاجتماعي للغد السوري.

من جهتنا، طالبنا مراراً بعقد مؤتمر اقتصادي وطني، يضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية لسورية المستقبل، سورية التي واجهت الحصار الاقتصادي والغزو الإرهابي، وعانت فئاتها الفقيرة والمتوسطة، وماتزال تعاني كثيراً لتأمين لقمتها ودوائها.

مشروع القانون الجديد هو شريان الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، فانتبهوا أيها السادة في حكومتنا، ودققوا كثيراً في طبيعة المرحلة التي تمر بها بلادنا، وجماهير شعبنا، ولنا عودة إلى هذه المسألة بعد أن يُنشَر المشروع.

تحرير المختطفين لدى إرهابيي «جيش الإسلام» في دوما

■ أُنجز مساء الأحد ٢٠١٨/٤/٨ تحرير الدفعة الأولى من المختطفين المحتجزين لدى إرهابيي (جيش الإسلام) في مدينة دوما، وذلك تنفيذاً للاتفاق الذي جرى التوصل إليه، والقاضي بتحرير جميع المختطفين في دوما مقابل إخراج الإرهابيين وعائلاتهم إلى جرابلس.

ويذكر أن غالبية المختطفين المحررين كانت التنظيمات الإرهابية اختطفتهم من مدينة عدرا العمالية في كانون الأول من عام ٢٠١٣، عندما اجتاحت المدينة وقامت بارتكاب مجازر استشهد فيها العديد من المدنيين واختطفت المئات واقتادتهم إلى مدينة دوما.

والجدير بالذكر أن عملية تحرير المختطفين لدى إرهابيي (جيش الإسلام) ستتواصل، بالتوازي مع إخراج الإرهابيين وعائلاتهم، وذلك حتى يتحقق تحرير جميع المختطفين وإخراج جميع الإرهابيين، وبالتالي إعلان مدينة دوما خالية من الإرهاب.

قيادة الحزب الشيوعي السوري الموحد وأسرة تحرير صحيفة (النور) تباركان عودة المختطفين لعائلاتهم، التي جاءت بعد تضحيات رجال جيشنا الوطني الباسل.

نصر الله: الحرب على سورية هدفها ضرب محور المقاومة

■ أكد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أن أحد الأسباب الأساسية للحرب الإرهابية على سورية هو ضرب محور المقاومة في المنطقة. وقال السيد نصر الله في كلمة له خلال مهرجان (الوفاء للنصر) في النبطية (إن هذا الاستهداف للمقاومة مازال قائماً وموجوداً) مشيراً إلى أن حرب تموز عام ٢٠٠٦ كان هدفها سحق المقاومة بعد فشل كل المحاولات والخطط لتدميرها.

ولفت السيد نصر الله إلى عدة محطات تاريخية تخللتها مؤامرات على المقاومة الوطنية اللبنانية، مبيناً أنه في عام ٢٠٠١ بعث نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني مندوباً له إلى لبنان وعرض تقديم أي شيء مقابل التخلي عن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي. أما في عام ٢٠٠٥ فقد أجريت دراسات أمريكية بشأن دفع الجيش اللبناني إلى الاصطدام مع المقاومة معتبراً أن القتال الداخلي هو أخطر ما كان يخطَّط للمقاومة.

وشدد السيد نصر الله على أن الضمانة الأقوى للبنان هي وحدته وتثبيت المعادلة الذهبية (الجيش والشعب والمقاومة) ذلك أن هناك تهديدات دائمة للبنان من قبل الصهاينة.

من جانب آخر حيا السيد نصر الله صمود أبناء الشعب الفلسطيني الذين تحدوا قوات الاحتلال الإسرائيلي وخرجوا بصدور عارية في مسيرات العودة وقدموا عشرات الشهداء وآلاف الجرحى، مؤكداً أن هذا القرار الشجاع والإبداعي للمقاومة الفلسطينية شكّل صفعة قوية لما يسمى هذه الأيام (صفقة القرن).

ويواصل الشعب الفلسطيني إحياء فعاليات مسيرة العودة الكبرى في قطاع غزة المحاصر والضفة الغربية للتعبير عن تمسكهم المطلق بحق العودة إلى أرضهم وبيوتهم التي هجّرهم منها الاحتلال الإسرائيلي، وللتنديد بإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب القدس المحتلة عاصمة لكيان الاحتلال، وعزمه نقل سفارة بلاده إليها في ذكرى نكبة الشعب الفلسطيني.

وفي الشأن اليمني نوه السيد نصر الله بالصمود الأسطوري للشعب اليمني، في وجه الحرب العدوانية السعودية الأمريكية التي دخلت عامها الرابع، رغم المجازر اليومية والحصار والأمراض والتجويع.

اتحاد الشباب الديمقراطي السوري في ذكرى تأسيسه الـ ٦٩:

دعوة لمواجهة الجهل والعنصرية وردّ الغزاة الطامعين

■ لطرد شبح الحرب التي تولدها القوى الاستعمارية والإمبريالية العالمية لتحقيق مطامعها بمصّ دم شعوب العالم واستغلال مقدراتها، وبعد القضاء على ماكينة القتل والإرهاب الفاشية الهتلرية عام ١٩٤٥، وبدعوة من الحركة الشيوعية العالمية وعلى رأسها الحزب الشيوعي السوفييتي، اجتمعت كل القوى التقدمية الشريفة التي كانت تنشد السلم والعدالة لكل شعوب العالم، لتؤسس المنظمة التي باتت تعرف باسم اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي، التي كانت نداء للتآخي والصداقة وصون السلم بين شعوب العالم، وفي مواجهة الفكر الهمجي العنصري الذي تغذيه القوى الاستعماري الرأسمالية.

كان حزبنا الشيوعي السوري ممن لبّوا نداء السلم الذي عمّده بالتضحية شهداء من كل شعوب الأرض، وفي ٥ من نيسان عام ١٩٤٩ تأسست منظمة اتحاد الشباب الديمقراطي السوري، لتقف مع شبيبة العالم أجمع في

● التتمة ص٧

رتل عسكري أمريكي فرنسي دخل منبج

■ امتد العدوان التركي ليطول ريف حماة الشمالي، في الجزء الذي تسيطر عليه (جبهة النصرة) الإرهابية، بالترافق مع ازدياد الوضع المحيط بمصير مدينة منبج تعقيداً، بدخول رتل عسكري أمريكي فرنسي إليها.

وأعلن الجيش التركي، إقامة ما سماه (نقطة مراقبة) جديدة بمحافظة حماة، في إطار اتفاق (مناطق خفض التصعيد)، وذكرت وكالة الأناضول التركية، أن قافلة عسكرية تركية مؤلفة من ١٠٠ مركبة توجهت إلى منطقة مورك في الريف الشمالي لمحافظة حماة، مروراً بقرى كفر لوسين، وسرمدا، ومدينتي معرة النعمان وخان شيخون، من أجل إنشاء نقطة المراقبة.

بوتين: ضمان تطبيع الأوضاع وإعادة الإعمار
روحاني: على الجميع احترام وحدة أراضي سورية وسيادتها

■ أكد الرئيسان الروسي فلاديمير بوتين، والإيراني حسن روحاني، في ختام لقاء قمة الدول (الضامنة): روسيا، وإيران، وتركيا، في اسطنبول، التزام القمة بتعزيز وحدة أراضي سورية وسيادتها.

وقال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال المؤتمر الصحفي المشترك للرؤساء الثلاثة في ختام القمة إن (المباحثات الثلاثية جرت بجو عملي وبناء. وبحثنا النواحي الرئيسية للوضع في سورية، وتبادلنا الآراء حول الخطوات اللاحقة التي تهدف إلى ضمان تطبيع الأوضاع في هذا البلد لأمد طويل).

وأكد بوتين التزام روسيا وتركيا وإيران بالمساهمة في تعزيز سيادة سورية واستقلالها وسلامة أراضيها، مشيراً إلى أن (هذا الموقف المبدئي له أهمية خاصة اليوم على خلفية المحاولات المتزايدة لإشعال الخلافات الإثنية والطائفية في المجتمع السوري، وتقسيم البلاد مع الحفاظ على مخاطر النزاعات في الشرق الأوسط لسنوات طويلة).

وأشار بوتين إلى أن الدول الثلاث اتفقت على توسيع التعاون بينها بشأن سورية، وخاصة في إطار عملية أستانا، التي قد أثبتت فاعليتها، والتي تراجع بفضلها مستوى العنف في سورية بشكل جذري.

كما ذكر الرئيس الروسي أن الدول الثلاث اتفقت على تنسيق الخطوات لمحاربة الإرهاب وتقديم المساعدات الإنسانية للسوريين. وأضاف أنه أطلع نظيريه التركي والإيراني على الجهود التي تبذلها روسيا في هذا المجال، فقد أجرت روسيا عملية غير مسبوقة في الغوطة الشرقية لإنقاذ حياة آلاف المدنيين. وقال بوتين: (اتفقنا على توحيد الجهود لإعادة الإعمار في المرحلة ما بعد النزاع في سورية. ويدور الحديث قبل كل شيء عن بناء منشآت البنية التحتية والمؤسسات العامة)، مشيراً إلى أن الشركات الروسية قد بدأت تشارك في هذا العمل، بما في ذلك في المناطق التي كانت تحت سيطرة المسلحين قبل فترة.

ودعا بوتين جميع الدول إلى المساهمة في إعادة إعمار سورية، مشيراً إلى أنه (إضافة إلى التسوية السياسية، من الضروري أن يعيش السكان في ظروف طبيعية، ولن يتسنى ذلك دون مساهمة كبيرة من الخارج).

وأشار إلى أنه (جرى التأكيد على منع تسييس ملف الوضع الإنساني، وعلى ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٠١، الذي يهدف إلى التخفيف من معاناة المدنيين على كامل الأراضي السورية).

وشدد بوتين على أن (الهدف الاستراتيجي المشترك هو دحر الإرهابيين نهائياً، الذين يدأبون على محاولات زعزعة الوضع على الأرض ويحاولون إفشال الجهود لتفعيل عملية السلام).

من جانبه، شدد الرئيس الإيراني حسن روحاني على أن (سلامة أراضي سوريا وسيادتها ووحدتها واستقلالها هي المبادئ الرئيسية، وعلى الجميع احترامها، وهذا ما يريده الشعب السوري).

وقال روحاني: (للأسف كانت بعض الدول، بما

● التتمة ص٧

التعليم في سورية إلى أين؟

■ التعليم والعلم بالنسبة للمجتمعات هو أساس التقدم الحضاري، وهذه بديهية. ولا يأتي العلم من دون التعليم الذي هو المحرّك الأساسي لتطور أي أمة. لذلك نرى بوضوح أن أحد أهم الفوارق بين المجتمعات المتقدمة والمتأخرة هو نسبة التعليم وجودته، ولا تبتعد القوة الاقتصادية والعسكرية وقوة العدالة وقوة النسيج المجتمعي كثيراً عن هذه المقارنة.

من المقدمة السابقة نلقي الضوء على مؤشر جودة التعليم العالمي الذي صدر عن المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس) لعام ٢٠١٧، وشمل ١٤٠ دولة. يرتب هذا المؤشر دول العالم وفق ١٢ معياراً رئيسياً، وحوالي ٤٠ معياراً فرعياً. هذه المعايير معايير دقيقة ومحددة بأسس علمية وتربوية وتعليمية رصينة، وهي ذات أهمية كبيرة، إذ إنها تقدم معلومات تفصيلية ودقيقة عن واقع سير العملية التعليمية في البلدان التي يغطيها المؤشر، وتشمل: المؤسسات، البنية التحتية، الصحة والتعليم الأساسي، التعليم الجامعي والتدريب، بيئة الاقتصاد الكلي، كفاءة سوق العمل، تطوير سوق المال، الجاهزية التكنولوجية، حجم السوق، الابتكار، تطور الأعمال، كفاءة أسواق السلع.

أظهرت بيانات هذا المؤشر لعام ٢٠١٧ نتائج صادمة، فقد شغلت فيه أغلب الدول العربية مراتب متدنية، وطبعاً نتائج هذا المؤشر ليست الوحيدة، إذ إن هناك العديد من المؤشرات العالمية والدراسات التي تبين وللأسف أن الواقع التعليمي العربي والمحلي غارق في المشاكل، لذلك من السخرية ان ننسب هذه الدراسات والمؤشرات، ومنها مؤشر دافوس، إلى نظرية المؤامرة التي عوّدنا عليها المطبّلون في الإعلام الرسمي العربي والمحلي. هذا واقع أليم، وعلينا أن نكون جريئين في الاعتراف بحقيقة تدني مستوى التعليم في بلادنا، وهناك عدد غير قليل من الدلائل الواضحة التي نراها في حياتنا اليومية يمكن أن تؤكد صحة هذه المؤشرات، مثلاً أعداد الطلاب الهائلة في الصف الواحد، التسيّب المدرسي، الغش في الامتحانات، سوية الحالة المادية والمعنوية المتدنية للمعلمين، الضعف التكنولوجي، وغيرها الكثير من المسائل. ومن نتيجة هذا التردي قامت معظم الأسر على حساب قوتها ورفاهيتها بمحاولة سد التراجع التعليمي في المدارس، بطرق متعددة أوسعها انتشاراً هي الاعتماد، بدلاً من المدارس، على الدروس الخصوصية التي أصبحت حالياً ثقافة أَسَريّة سورية عامة، وهذا مكمن خطرها.

وفيما تسعى دول العالم الحليفة قبل البعيدة، بكل طاقاتها، لتحقيق أفضل عملية تعليمية، لم نر من المؤسسات التشريعية أو التنفيذية في سورية سوى الطابع الاستعراضي، من قبيل شعارات التطوير والتحديث، والتقوقع في إيديولوجيات متصحّرة مازالت تهيمن على البرامج والخطط وفق نظرية الرأي الواحد، يقودها مختصون من لون سياسي واحد، معظمهم من منظومة إدارية شديدة الفساد والبيروقراطية. إن الهدف الرئيسي للتعليم هو تحرير الإنسان وتقدُّمه، وليس تفسير الإيديولوجيا أو تطبيقها، سواء كانت سياسية ام دينية، أو بناء المناهج وتفسيرها وفق رؤية السلطة وليس وفق رؤية الوطن، فالسلطة متبدّلة، أما الوطن فباق. النظام السياسي لاتحاد السوفياتي ذهب بينما المنهج التعليمي والعلمي لمؤسساته بقي، وحافظت من خلاله روسيا الحالية على تفوقها العسكري والفضائي ومجالات أخرى عديدة. أما في بلادنا فالواقع هو أنه لم يُنظَر يوماً إلى التعليم كمحور من محاور التنمية. وفي الوقت الذي تعتبر دولة عدوّة لنا كإسرائيل وزارة التعليم فيها على أنها واحدة من الوزارات الأربع السيادية، لم تنظر حكوماتنا المحلية إلى أهمية هذه الوزارة، حتى المختصون بالتربية والمنوط بهم معالجة هذه المهمات، لم ينظروا نظرة جدّية ووطنية إلى المشاكل المتعددة الموجودة في النظام التعليمي المحلي. والحقيقة هي أننا لم نرَ سوى أكذوبات التطوير والتحديث، إذ مازالت العملية التعليمية قائمة على الحفظ والتلقين، لا على التفاعل والإبداع. إن الالتزام بالقانون، ومفاهيم الحق والواجب، والتنظيم، والانضباط، والتأقلم، وتقبل الآخر، وروح العمل الجماعي، والحفاظ على الأملاك العامة، وغيرها من القيم النبيلة، لا يمكن تحصيلها وترسيخها إلا عبر التعليم ثم التعليم في المدرسة، ولا يمكن تحصيلها في ظل النظام التعليمي القائم حالياً في سورية. فالعلم هو (طريقة وأسلوب للتفكير أكثر من مجرد كمية من المعلومات)– على ما يقول المفكر كارل ساغان.

منذ منتصف الثمانينيات حتى بداية التسعينيات، لعبت سورية دوراً يعادل عشرات أضعاف حجمها على الساحة الدولية، بحسب صحيفة دير شبيغل الألمانية عام ١٩٨٥، كما سميت بأنها أكبر دولة صغيرة في العالم– كما قال أحد الدبلوماسيين الكبار في البيت الأبيض. من أسّس لهذا الدور؟ طبعاً هي مجموعة من العوامل، لكن أهمها كان الاهتمام بالعملية التعليمية والتدريب وتأهيل الكوادر.

للأسف الشديد نلاحظ أن سورية والعراق ومصر التي قادت التعليم عربياً منذ خمسينيات القرن الماضي حتى بداية الألفية الجديدة نجدها قد سقطت. فمصر جاءت بالمركز ١٣٩ من أصل ١٤٠ في مؤشر دافوس لعام ٢٠١٧، في حين لم تدخل سورية والعراق في الترتيب أصلاً، وذلك لافتقارهما بحسب التقرير: (لأبسط معايير الجودة في التعليم).

مرة أخرى لنكن جريئين ولنقرأ مؤشر دافوس بواقعية بدلاً من الاستهزاء به وتمويه الناس بنظرية المؤامرة، ولنقُل صراحة إن هناك ضرورة قصوى ولا تقبل التأجيل لمراجعة السياسات الحكومية في سورية في مجال التعليم، ووضع أسس أكثر انفتاحاً على العالم الذي بات يسبقنا كل يوم بخطوة.

صفوان داؤد

البسطات.. ما الحل؟

■ دمشق ـ «النور»:

■ شوارع المدن السورية المكتظة بالسكان تزدحم بالبسطات، والبسطات المتنقلة أو الاقتصاد الصغير جداً، ولا تتوقف حركة البائعين الذين يقضون يومهم وهم يتنقلون بين رصيف وآخر، وشارع وغيره حيث يحتشد الناس، وخصوصاً على أبواب المؤسسات والإدارات التي ترتبط بها مصالح الناس مثل دائرة الهجرة والجوازات وغيرها.. وبالرغم من أن هذه (المشاريع) الصغيرة قد تبدو عادية وغير مغرية لمن يأمل بـ(دخل جيد)، إلا أنها ملاذ آمن لمن ضاق بهم سوق العمل، ومظلة تحميهم من الفقر والعوز والفاقة، وتؤمن لهم مصدر رزق بعيداً عن التسول أو السرقة أو اللجوء إلى أعمال غير أخلاقية.

بيد أن هذا المجال من تأمين الدخل للكثيرين من العاطلين عن العمل، والشباب منهم خصوصاً، له منعكسات سلبية كثيرة، وهو لا يرفد الدخل القومي بشيء، ولا رقابة عليه، ولا ضرائب، والعاملون فيه مجردون من أبسط حقوق العمل، وليس لهم تأمين صحيّ، ولا نقابة تدافع عنهم، ولا وجود لأية حماية اجتماعية لهم عند تعرضهم لأية حالة غبن، ولا تعويض نهاية الخدمة يضمن لهم شيخوخة كريمة.

لقد أصبحت الأسباب واضحة للجميع، وهي العمالة الفائضة، والفرص القليلة للعمل، وغياب مظلة أمان تضمن لهم التأمين في ظل غياب رقابة على هذه المنتجات.

بالطبع إنها على الأغلب تجارة مربحة، ولا يوجد حسب التقديرات أي نوع من أنواع المخاطرة أو الخسارة، ولا تحتاج إلى مقر عمل، ولكنها تجارة تثير التساؤلات من جانب آخر، لارتباطها في كثير من الأحيان بصحة الإنسان وتأثيرها السلبي عليه.

إن كل ذلك يجب أن يضع هذه القضية الملحة على بساط البحث لدى الهيئات المقررة، وعلى الأخص المؤسسات البلدية في المدن، وضرورة إيجاد حلول لهذه الظاهرة المستفحلة وغير المنضبطة، والتي لها آثارها الضارة حتى على الاقتصاد الوطني.

بالطبع يجب أن لا تؤدي هذه الحلول إلى قطع رزق هذه الشريحة التي لجأت إلى هذه الطريقة مضطرّة من أجل كسب عيشها، لأن ذلك سيوسع رقعة العاطلين عن العمل، وإنما يجب تنظيمها، ووضعها تحت رعاية الدولة، وقوننتها ووضع ضوابط لها، بحيث تحقق مصالح هذه الشريحة، ولا تضرّ بصحة المواطن، وكذلك لا تلحق أضراراً باقتصاد البلاد، الذي يعاني الكثير من المشاكل التي خلفتها الحرب الدائرة في البلاد من جهة، ومن جهة ثانية سوء الإدارة والفساد وغياب المحاسبة والتسيب.

يوم للكذب!

■ مر الأول من نيسان هذا العام بسلام، دون كذب أو مزاح، إذ عادة تجري فيه بعض أنواع الكذب، الذي يسمونه الكذب الأبيض، أتساءل في سرّي: لماذا لم يكذب عليّ أحد في هذا اليوم؟ هل ملّ الناس من الكذب؟ أم أنهم يكذبون في بقية الأيام فجعلوا منه يوم راحة؟!

تعد هذه المزحة مُنتشرة في غالبية دول العالم باختلاف ألوانها وثقافاتها، وذهبت أغلبية آراء الباحثين إلى أن (كذبة نيسان) تقليد أوروبي قائم على المزاح يقوم فيه بعض الناس في اليوم الأول من نيسان بإطلاق الإشاعات أو الأكاذيب، ويطلق على من يصدق هذه الإشاعات أو الأكاذيب اسم (ضحية كذبة نيسان).

والسؤال: لماذا نكذب؟ وما هي أخطر أنواع الكذب؟

الكذب هو تلفيق وتزييف متعمد للحقائق، بدافع الخوف من النتائج المترتبة على قول الحقيقة أو بغرض الوصول إلى هدف ما أو مناصب معينة كما يفعل البعض في الحملات الانتخابية وغيرها. قد يتطور الأمر حتى يصبح الكذب مرضاً نفسياً، ويعيش الكاذب بالوهم (يكذب الكذبة ويصدقها)، كما يصبح الكذب مهنة عند النصابين والمحتالين واللصوص والحرامية، وعند بعض المتسولين، لكسب المال.

باعتقادي أن أخطر أنواع الكذب هو عندما يكذب المرء على نفسه، وما أكثر من يفعلون ذلك! وهو يتفنن في إقناع نفسه بأنه لا يكذب عليها، فهذا الشخص يخاف ويخشى مواجهة نفسه بالحقيقة. هنا لابد أن نتوقف مع الذات ونحاسبها، وهنا لابد أن نعرف أن الكذب المستمر على الذات هو حالة مرضية نفسية.

لو تأملنا كل ما يدور حولنا وناقشناه مع أنفسنا هل هو كذب أم صدق؟ هل ما يدور حولنا وفي مثل وضعنا، سواء ناقشنا الأمر مع أنفسنا أو مع الغير، هل هو كذب أم صدق؟ هل ما يدور حولنا في هذه الأيام بالذات ومواجهة مشاكلنا الاجتماعية هل هو كذب أم صدق؟ هل ما يدور حولنا فيه كذب على النفس أم على الآخرين؟ عندما نواجه الغير ونرتدي الابتسامة خجلاً من مواجهته، فهذا معناه أننا نعيش حالة ضعف أو أزمة وما أكثر الأزمات عندنا في هذه الأيام، إذ بتنا مأزومين في كل شيء.

للكذب أشكال وألوان وحالاته متعددة ومختلفة، عندما يختلف الواحد منا مع صديقه، أو الأخ مع أخيه ولا يصارح أي من هؤلاء الآخر بالحقيقة، أليس ذلك كذباً؟ وعندما يأخذ الإنسان صديقه بالأحضان والقبلات، وفور مغادرته يبدأ في سبه ولعنه من خلف ظهره، أليس ذلك كذباً ومرضاً؟ وعندما نقول ما لا نؤمن به، ونكتب ما لا نعنيه، ونفعل ما لا نريده، ونتناول الطعام مع من لا نحبهم، ونتزاور مع من لا يجمع بيننا وبينهم أي شيء سوى المصلحة، أليس ذلك كذباً؟ لا بدّ لنا كشعب ومجتمع أن نعرف ونعلم أن الكذب على النفس وعلى الغير هو الذي أوقعنا في الحالة التي وصلنا إليها اليوم، ولا بدّ أن نعرف أن كل مظاهر العجز والألم والتخلف التي نعيشها ترجع إلى هروبنا من مواجهة الحقيقة، والكذب على الذات، إذ إن بعضنا يخاف من الغير أكثر من خوفه من النفس، وهذه هي الكارثة الكبرى.

هناك نوع من الكذب يسمونه الكذب الأبيض، نسمع عن الزوجة التي تكذب على زوجها بغية مجاملته للحصول على المال أو للتستر على أخطاء الأولاد من باب العطف والحنان، وكذلك الزوج الذي يكذب على زوجته –كذباً حلواً– في سبيل إرضائها والمحافظة على حياة زوجية مستقرة، والأولاد يكذبون على الأهل والمدرسة خوفاً من العقاب، وهناك من يكذب ليحل خلافاً حاصلاً بين متخاصمين.

أخيراً، ما أود قوله، إن علينا الابتعاد عن الكذب بجميع أشكاله الأبيض والأسود والحلو والمر، لأن في النهاية حبل الكذب قصير، كما يقال، وعلينا بالصراحة دائماً وأبداً، وحسب الفنان زياد الرحباني (بصراحة.. ما في أحلى من الصراحة)، والالتزام بالصدق لأنه هو الأغلى والأجمل والأثمن في الحياة.

وكل نيسان وأنتم بخير!

محمود هلال
mah.hlal@gmail.com

لقاء مع محافظ القنيطرة

■ قام وفد من اللجنة المنطقية للحزب الشيوعي السوري الموحد في القنيطرة، بلقاء ودي وتعارف مع الرفيق همام الدبيات، المحافظ الجديد في القنيطرة.

عُرضت في هذا اللقاء أبرز مشاكل المواطنين في المحافظة، وعبّر الوفد عن إمكانية تقديم كل أشكال التعاون، لخدمة الإخوة والأهل في المحافظة. وقد أبدى المحافظ استعداده للعمل على معالجة كل الشؤون التي تهم المحافظة وتجمعات النازحين في أماكن وجودهم، وتلبية متطلباتهم لتحسين الخدمات المطلوبة بقدر الإمكان، وفي سبيل تحرير الجولان الحبيب، وتحرير سورية من كل أنواع الإرهاب، ومن المتدخلين الأجانب، لتعود سورية حرة موحدة.

المؤتمرات السنوية للاتحادات المهنية لنقابات العمال

عقدت الاتحادات المهنية لنقابات العمال مؤتمراتها السنوية في الفترة ١٨–٢٠١٨/٣/٢٨، بالتزامن مع ذكرى تأسيس الاتحاد العام لنقابات العمال، وقد بعث الرفيق حنين نمر (الأمين العام للحزب الشيوعي السوري الموحد) برقية تهنئة بهذه المناسبة، هنأ فيها الطبقة العاملة وتنظيمها النقابي، وقيادة الاتحاد العام.. وبحضور الرفيق جمال القادري رئيس الاتحاد العام.

افتتح الرفيق نبيل العاقل (رئيس الاتحاد المهني لنقابات عمال الخدمات العامة) أعمال المؤتمر، وأكد ضرورة تناول قضايا العمال بروح المسؤولية وبكل موضوعية وشفافية.

تناولت مداخلات أعضاء المؤتمر مطالب: تحويل عقود مقاولات إلى عقود سنوية، إلغاء صفة متعهد من النقابة باعتبارها صفة اعتيادية، وإيجاد رؤية متكاملة حول آلية منح طبيعة العمل، وتأمين أجهزة قطرة قلبية ورنين لبعض المحافظات (حمص ودرعا)، وطالبوا بإلغاء مركزية إجراء المسابقات، ودعم المشاريع المتوسطة والصغيرة، لدورها الهام في الحياة الاقتصادية.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال الكهرباء والصناعات المعدنية

طالب أعضاؤه بمنح العمال الذين يستشهدون وهم على رأس عملهم لقب: شهيد الواجب، وإنشاء محطة توليد في الحسكة وصيانة محطات، وفتح فروع السجل العاملين بالدولة في جميع المحافظات، وتفعيل دور الصحة والسلامة المهنية، وتحسين ظروف وشروط العمل.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال النقل

طالب النقابيون في قطاع الطيران بإجراء دورات تدريبية لعمال النقل الجوي، وإيجاد كوادر فنية، وتعديل أنظمة اللباس وخاصة لباس الطيران بجودة عالية، وإصدار الملاك العددي في الطيران العربية السورية، وإنشاء صناديق تكافل للسائقين في كل المحافظات.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال الغزل والنسيج

طالب الرفيق عمر حلو بإلزام أصحاب معامل القطاع الخاص بتنسيب العمال لديهم إلى التنظيم النقابي، واستجابة وزارة المالية لقرار رئيس الحكومة، باعتبار شركات الغزل من الشركات التنافسية، وضرورة إقامة مشفى عمالي مركزي، وإنشاء مصرف عمالي، وإنشاء مجلس أعلى لصناعات الغزل والنسيج.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال الكهرباء والصناعات المعدنية

طالب النقابيون في مداخلاتهم بتقديم الدعم اللازم لإعمار منشأة توليد التيم المتضررة وتأهيلها، وتأمين السيولة اللازمة لكهرباء دير الزور، واستبدال التجهيزات الكهربائية في محطات التحويل في السويداء، وزيادة الملاكات العددية تبعاً لزيادة حجم الأعمال، وتسهيل إنجاز معاملات الإخوة العمال المحالين إلى التقاعد، والتفعيل الدائم لدور الصحة والسلامة، ودور مفتشي الصحة المهنية.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال الطباعة والإعلام

طالب الرفيق إبراهيم النجار رئيس الاتحاد بتبديل الأجهزة والمعدات في وزارة الإعلام، والاهتمام بالواقع التعليمي، وإعادة العاملين المصروفين من الخدمة، وتعديل القانون رقم ١٧ وضرورة تشميل عمال الطباعة بالمهن الخطرة، وطبع الكتب المدرسية في مطابع القطاع العام، وتطوير الصناديق الاجتماعية، وتحسين الواقع المعيشي، وتفعيل دور مؤسسات الدولة.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال الغذائية والسياحة والزراعة والتبغ

طالب ياسين صهيوني (رئيس الاتحاد المهني)، في مداخلته، بفتح سقوف الرواتب، وتفعيل المحاكم العمالية، ودعم قطاع الزراعة، وشراء المحصول من الفلاحين بأسعار تشجيعية، وتأهيل مبقرة دير الزور، وإنشاء معمل أجبان وألبان في الحسكة.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال النفط والمواد الكيماوية والصناعة الخفيفة

أبرز ما جاء في مداخلات المؤتمرين: ضرورة ملء الشواغر الحاصلة في قطاع النفط والغاز، وضرورة الإسراع بصيانة خط قل النفط الثقيل من المنطقة الشرقية، وعودة شركة سار إلى مقرها، وتفعيل شركة الرخام باللاذقية.

تحدث الرفيق كمال رضوان في مداخلته عن تطوير شركاتنا من خلال مشاريع تطويرية، ودراسة الجدوى الاقتصادية للشركات، والاهتمام بالتدريب والتأهيل، وتحديث الأدوات والمعدات لأن المهن النفطية أخطر المهن.

مؤتمر الاتحاد المهني لنقابات عمال البناء والأخشاب

جاء في مداخلات الإخوة العمال: تأمين معدات ثقيلة لكل الشركات لإعادة الإعمار، وتأمين جبهات العمل، وتأمين السيولة اللازمة.

أما أهم ما جاء في مداخلة رئيس نقابة البناء بدمشق إحسان قنابة، فهو: تحديث القوانين وأنظمة العمل في الشركات الإنشائية، إعطاء الأولية في العمل والمشاريع للشركات الوطنية، شراء آليات تواكب عملية إعادة الإعمار، تفعيل أقسام حفر الآبار.

عمر حسام

النور
أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
أسست عام ١٩٥٥
أعيد إصدارها عام ٢٠٠١

المدير المسؤول: المحامي فؤاد البني
مدير التحرير: بشار المنيّر
المدير الفني: نصر الشيخ علي
مسؤولة العلاقات العامة: ريمان حداد

الجمهورية العربية السورية. دمشق
المزرعة. شارع عمر المختار
● هاتف ٣٣٢٤٩١٤ – ٣٣٤٢٥٧٢ – ٣٣٤٢٥٧٣
● فاكس ٣٣٤٢٥٧١ – ٤٤٢٢٣٨٣ ص.ب ٧٣٩٤
e-mail:annourscs@gmail.com
www.an-nour.com
■ للإعلان: الاتصال بالأرقام ٣٣٢٤٩١٤ – ٣٣٤٢٥٧٢ – ٣٣٤٢٥٧٣
■ الاشتراك السنوي: للأفراد ٢٠٠٠ ل.س للمؤسسات ٤٠٠٠ ل.س
■ للسفارات ٥٠٠٠ ل.س.
● في لبنان ٥٠ دولاراً أو ما يعادلها – باقي الدول العربية ١٠٠ دولار
● أوربا ٢٠٠ دولار – الأمريكيتين وباقي الدول ٣٠٠ دولار.
● تُقبل الاشتراكات التشجيعية من الأفراد والمؤسسات.

البلطجة الأمريكية والعدوان على سورية والشرعية الدولية

■ في تشرين الأول ٢٠١٥ تسلّل خمسون استشارياً عسكرياً أمريكياً إلى الداخل السوري بطريقة غير شرعية، بلا تفويض دولي ولا موافقة من الحكومة السورية، ودون إعلان حرب، لأن ذلك يحتاج إلى موافقة الكونغرس الأمريكي. ثم تنامى العدد عام ٢٠١٦ إلى ٥٠٠ من القوات الخاصة، مع وضع قوة تدخل سريع في الكويت بلغت ١٠٠٠ رجل كاحتياط يجري نقلهم وفق التطورات، ثم أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية رسميا عام ٢٠١٧ أن عدد قواتها الخاصة في سورية بلغ ٢٠٠٠ فرد، إضافة إلى ٤ آلاف آخرين تابعين لقوات التحالف الدولي.

وكشفت وكالة الأناضول التركية، بعد تضارب المصالح بين تركيا وحلفائها الأطلسيين حول الاستعصاء الكردي، عن وجود ١٠ قواعد أمريكية داخل الأراضي السورية، منها قاعدتان جويتان في الرميلان، وخراب عشق (جنوب كوباني)، إضافة إلى ثلاث قواعد في محافظة الحسكة، واثنتين في منبج، واثنتين في الرقة، وواحدة في صرين (شمال غرب كوباني)، تتضمن هذه القواعد مع العتاد العسكري المتنوع ضباطاً لتنسيق القصف الجوي والمدفعي، ومخططين للعمليات العسكرية، ومدرّبين ووحدات قتالية.

ومن المعروف الوجود العسكري الأمريكي البريطاني داخل الأراضي السورية في قاعدة التنف (على المثلث الحدودي السوري الأردني العراقي)، التي نشرت فيها القوات الأمريكية صواريخ (هيمارس– himars) ويجري فيها تدريب مجموعات إرهابية مسلحة، معظمهم دواعش فارّون من الرقة، حسب ما أفادت به أجهزة الرصد الروسية، ومن تلك القاعدة يعتدى على الجيش العربي السوري.

تتخذ الولايات المتحدة من داعش ذريعة لوجودها على الأراضي السورية، لكن الغاية الحقيقية هي ردع الجيش العربي السوري ومنعه من تحرير أراضيه، وصولاً إلى فرض التقسيم كأمر واقع وفق مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي بدأت بتنفيذه عملياً قبل تدخلها العسكري المباشر، من خلال دعمها غير المحدود للمعارضة السورية بين العامين ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، ثم للجماعات الإرهابية المسلحة التي بدأت بتجميعها وتدريبها وتسليحها خلال العام الذي سبق آذار ٢٠١١ الأسود، الذي كانت أهم أهدافه إخضاع سورية للإرادة الأمريكية بانتحال صفة الثورة الشعبية.

استغلت الولايات المتحدة الوضع الدولي والإقليمي والداخلي، لتمرّر احتلالها للأراضي السورية، وللهجمات الجوية والصاروخية على الجيش السوري داخل سورية دون أية ردود أفعال من المجتمع الدولي، وكأن شيئاً لم يكن، ومما ساعد على ذلك تبعية دول المنطقة وطاعتها للقرار الأمريكي، وكذلك طبيعة الثقافة الجديدة التي نشرتها العولمة في أوساط النخب والتيارات الإنتهازية السورية، التي روّجت مقولة (الاستعمار أفضل من الاستبداد)، و(الصفر استعماري)، و(المؤامرة من الداخل)، وغيرها من مبادئ مصممة لخلق بيئة داخلية حاضنة للاستعمار وممر شعبي لمشاريعه المدمرة، سبق أن قرأنا مثيلاتها، فقد قال جول فيري أمام مجلس النواب الفرنسي عام ١٨٨٥: (تقع على الأعراق العليا واجبات تمدين الأعراق الدنيا). واعتبر أحد الحقوقيين عام ١٩١٢ أن الاستعمار ينقل مزايا الشعوب المتقدمة إلى الشعوب المحرومة منها، في محاولة سطحية لشرعنة الاستعمار والتغاضي عن روح السيطرة والاستغلال والاستبداد المحركة لنزوعه العدواني.

لقد بلغت الوقاحة حدها الأقصى مع بعض تلك النخب والتيارات، حين طالبت الولايات المتحدة بالعدوان على سورية، دون أي اعتبار للمبادئ الأساسية للشرعية الدولية، فحقوق الدول وسيادتها المعتمدة في المادة ٥١ من القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة تؤكد حق البقاء، ومن بنود هذا الحق، حق الدفاع الشرعي الذي يشترط أن يكون هناك اعتداء مسلح من دولة أخرى، ومنها حق منع التوسع العدواني، وثانياً حق الحرية والاستقلال، ويتضمن حقّ أن تتصرف الدولة في شؤونها الداخلية والخارجية وممارسة سيادتها واستقلالها بمحض اختيارها دون الخضوع لإرادة دولة أخرى. وثالثاً، حق المساواة، وهو أن تتمتع جميع الدول بالحقوق والواجبات نفسها، ومن بنود هذا الحق: ليس لدولة أن تملي إرادتها على دولة أخرى تامة السيادة. ورابعاً، حق الاحترام المتبادل، ويشمل احترام كيان الدولة المادي ومركزها السياسي وكرامتها وحدودها الإقليمية.

لكن الولايات المتحدة، بالاعتماد على قوتها العسكرية، تخرق كل هذه الحقوق أينما شاءت ومتى شاءت، وبرعاية المنظمة الدولية أو من دونها، ويمر الحدث في ظلمة صراع الحضارات الذي حل محل النضال الوطني.

إن الاحتلال الأمريكي وغيره للأراضي السورية هو عدوان مسلح على دولة مستقلة ذات سيادة، مرفوض، وهو عدوان على الشرعية الدولية في الوقت ذاته، ومقاومة هذا الاحتلال حق دفاع شرعي وواجب يمليه الضمير الوطني والإنساني، ودرس لمن غامر بالقضية الوطنية بصفقتها أولوية تدور كل القضايا الأخرى في فلكها، وكل محاولة لتغيير هذه المكانة هو طعن في الظهر لتلك القضية وتشتيت لقوى المقاومة وتكريس للاحتلال الصهيوني منبع كل مشاكل المنطقة، فسواء كان الاحتلال صهيونياً أو أمريكياً أو تركياً، أو من قبل وكلائهم الهمج الإرهابيين المحليين، من الضروري التذكير هنا باستحالة الفصل بين ما يحدث في سورية اليوم، والأجندة الصهيونية التي تتلخص في تصريح مؤسس دولة الاحتلال ديفيد بن غوريون، بأن (عظمة إسرائيل تكمن في انهيار ثلاث دول هي مصر والعراق وسورية، وإن نجاحنا لا يعتمد على ذكائنا بقدر ما يعتمد على غباء الطرف الآخر).

بولس سركو

كي لا ننسى

رسلان حلاق..
مناضل اقترن لديه القول بالفعل

■ في ١٩٩٩/١٢/٨ يتوقف قلب رسلان الحلاق، هذا الشيوعي الذي أعطى كل ما يستطيع أن يقدمه، والذي كرس حياته الواعية لخدمة الطريق الذي اختاره طوعاً، طريق النضال من أجل مصالح الشعب الكادح، ومن أجل حرية الوطن وتعزيز استقلاله.

فقد ولد عام ١٩٣٧ في أسرة كادحة، كافح منذ يفاعته من أجل لقمة العيش، وفي ظروف قاسية جداً بالنسبة له، هو الطفل الكبير الذي كان يجب عليه أن ينخرط في معركة الحياة التي لا تعرف الرحمة، وكان عليه أن يخوضها من أجل أسرته، من أجل أن يؤمّن لها أبسط متطلبات الحياة، بيد أن طموحه للمعرفة لم يكن له حدود، ومن أجل ذلك كان يستغل كلّ فرصة من أجل العلم والتعلم، واستطاع بعد جهود كبيرة أن يحصل على الشهادة الإعدادية، وعمل بعد ذلك معلماً في الجزيرة، وتابع دراسته الخاصة، فحصل على الشهادة الثانوية، ثم استطاع فيما بعد أن يحصل على الإجازة الجامعية في مجال علم التاريخ، إلا أن مهنة التعليم بقيت مفضّلة لديه واستمر فيها طوال حياته.

في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي ينتسب الشاب رسلان إلى الحزب الشيوعي السوري، منسجماً مع مثُله، وحبّه لشعبه ولأبناء طبقته الكادحة. ولقد بقي وفياً للحزب حتى آخر لحظة من حياته. إن نضالاته الدؤوبة، سواء في المجال الوطني أو الاجتماعي أو الديمقراطي، قد أكسبته الاحترام والحب من رفاقه في منظمة الحزب في السلمية، وكذلك من جماهير بلدته التي وجدت فيه مدافعاً صلباً عن مصالحها، وعن مستقبلها. إن كل ذلك قد دفع برفاقه لانتخابه سكرتيراً للجنة المنظمة الفرعية في أواسط الستينيات من القرن الماضي، ولقد تميز خلال فترة قيادته لها بنشاطه الذي لا يكل من أجل الدفاع عن كادحي بلدته، ومن أجل توسيع نطاق الأفكار التنويرية فيها، ومن أجل إقامة روابط مشتركة مع كل من يهمّه تقدّم البلاد، وتعزيز استقلالها وتوطيده، ودفع عجلة الاقتصاد إلى الأمام لتحقيق التنمية الاجتماعية.

لقد جعل هذا المناضل منزله مركزاً لالتقاء رفاقه لممارسة نشاطاتهم وأعمالهم الجماهيرية والحزبية، وكذلك مركزاً للالتقاء بالناس وبالقوى السياسية الأخرى من أجل إيجاد قواسم مشتركة تخدم تطور الوطن وتقدمه على جميع الصعد. ولقد ودّعته مدينته بموكب مهيب شارك فيه لا الشيوعيون فقط، بل شارك فيه أيضاً اليساريون والتقدميون على اختلاف ميولهم ونزعاتهم، وقد عكست المشاركة في هذا الموكب مقدار الاحترام العميق الذي تكنّه جماهير بلدته وقواها السياسية وتياراتها الفكرية لهذا المناضل الذي كرس حياته لخدمة الناس، وإعلاء شأنهم في كل المجالات، وستذكر جماهير بلدته دائماً بحب واحترام ابنها، الذي قدم لها كل ما يستطيع أن يقدمه مناضل.

يونس صالح

سورية.. والصراع الإقليمي الدولي

■ يوماً بعد يوم يتكشف ما كان يُراد من وراء ما سمي (الثورات العربية) أو (الربيع العربي)، فقد غُرّر بالشعوب التي كانت توّاقة لركوب سفن تمخر بحر الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، فهاجت بها رياحٌ لا تشتهيها، وتاهت في عباب البحر المتلاطم الأمواج بعيداً عن شاطئ الأمان، وباتت سورية ساحة للعبة لأخلاقية دولية، عبر عملاء ووكلاء لأقوياء العالم المنفردين بالوصاية على شعوب الشرق الأوسط، فها هم أولاء يستبيحون الأ ٓراضي السورية بمبررات شرعنوها بموجب قانون القوة والوصاية و.....الخ، وهي مرفوضة ومدانة من الشعب السوري بكل أشكالها، والاجتياح العسكري التركي لأراضي سورية جزء من تلك اللعبة التي كشفت ووضحت مسارات وسيناريوهات الصراع الدولي والإقليمي لتقاسم النفوذ على الأراضي السورية، في الوقت الذي تتشدّق فيه القوى السياسية التي ادّعت حرصها على وحدة الأراضي السورية وكرامة شعبها، في ضوء الصراع القائم في سورية وعلى سورية خدمةً للاعبين الدوليين والإقليميين، ولطموحات ضيقة ما دون وطنية، فبات مكشوفاً أن لا ّصداقات إلا من أجل المصالح، ولا عداوات من أجل القيم و المبادئ.

فروسيا التي تبرر وجودها بدعوة الحكومة السورية لها، فبأي مبرر روسيا تدعو تركيا لتشاركها في الشأن السوري بدءاً من الشمال السوري مروراً بالقلمون الشرقي والغوطة الشرقية، وربما انتهاء بالجنوب السوري؟ أليس هذا مؤشراً لمرحلة تقسيم سورية بالوصاية وعبر الوكلاء ما بعد داعش؟ وقد بات واضحاً أن لعبة الاصطفافات السابقة كانت مرحلة تكتيكية مؤقتة، واليوم دخلت مرحلة الاستراتيجيات المستقبلية البعيدة المدى.

بالأمس كان هدف التحالف الأمريكي الغربي الخليجي التركي ووكلائه في سورية قد تمحور حول هدف معلن: (إسقاط النظام السوري)، والهدف المخفي والأساسي هو إفشال الدولة السورية وتقسيمها، بجعلها رهينة الصراعات الطائفية والمذهبية والقومية على شاكلة الصومال ولبنان والعراق ...الخ؛ ولما فشل مشروعهم ذلك، بفضل الوعي الوطني لمعظم الشعب السوري، بكل مكوناته، وتقديمه التضحيات الجسام دفاعاً عن أرضه ومقدراته، ها هم أولاء يعيدون اليوم إعادة التمحور والتموضع وتغيير التكتيكات، وبناء الاستراتيجيات الهادفة لتوزيع مناطق النفوذ، بمعزل عن إرادة الشعب السوري، وكل ما جرى ويجري الآن هو بالضدّ من طموحات الشعب السوري ورغباته، وخاصة في شمال سورية وشمال شرقها، وشرقها وجنوبها؟ وها هي ذي أمريكا تسعى لإعادة مياه العلاقات بينها وبين تركيا، كدولتين في حلف الناتو، إلى مجاريها! وهي تُطَمْئِن تركيا بأنها حليفة استراتيجية وأنها تتفهّم مخاوفها من نشاط (المجموعات الكردية)– هكذا سمّتها الخارجية الأمريكية. وتأكيداً لمصداقيتها اتجاه تركيا فقد شرعنت الغزو التركي لعفرين، بمبرر حماية أمنها القومي– حسبما صرحت قيادة الناتو– متناسية أن عفرين تحت سيطرة (قوات حماية الشعب) التابعة لـ(الإدارة الذاتية) التي يديرها (مجلس سورية الديمقراطي)، والتي حررت ثلث الأراضي السورية، بالتعاون معها، من (داعش)، وذلك بهدف التموضع في منطقة نفوذ تجمع فيها وكلاءها من (المعارضة السورية) التابعة لتركيا، تمتد ما بين إعزاز وجرابلس، وتتجه باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي، مروراً بعفرين والباب وإدلب والقلمون الشرقي وشرقي الغوطة الشرقية، امتداداً إلى التنف، وصولاً إلى الجنوب السوري. والهدف من ذلك:

– روسياً: قدمت روسيا لتركيا تسهيلات تلو التسهيلات، بدءاً من عفوها عن إسقاط طائرتها ومقتل طيارها ومقتل سفيرها في أنقرة، وآخرها: انسحابها من عفرين تمهيداً للغزو التركي لها، كل تلك الإغراءات الروسية لتركيا حتى تأمن جانبها، لأنها الخاصرة الرخوة في مواجهتها مع الناتو، هذا من جهة، وهي تحاول إرضاء تركيا وإقناعها بقبول الحضور الكردي في مفاوضات التسوية السورية النهائية، وبذلك تكسبهم إلى جانبها وفق منظورها وبما يحقق مصالحها الاستراتيجية في سورية والشرق الأوسط، لأنها تدرك أنه لا يمكنها ذلك بغياب الطرف الكردي كورقة قوية تستخدمها ضد خصومها، وأقل ما في الأمر أن تخرج بجزء من الكعكة السورية، ومنها مناطق نفوذ لها في المنطقتين الوسطى والساحلية دون منافسة.

– تركياً: قطع التواصل بين المناطق التي يسكنها الأكراد، وإفشال (المشروع الفدرالي لمجلس سورية الديمقراطي)، ولإظهار الصراع في سورية بأنه قومي من جهة، وطائفي مذهبي من جهة أخرى، بغية التخفيف من ضغوط الأزمة الداخلية عن أردوغان، وضمان نجاحه في انتخابات ٢٠١٩ وتحقيق مشروعه العثماني الإخواني الاستراتيجي التوسعي، والمزمع إعلانه في الذكرى المئوية لقيام الدولة التركية التي ستحلّ عام ٢٠٢٣، بالحفاظ على ما احتلته من أجزاء مهمة بالنسبة لها من الأراضي السورية حتى ذلك الوقت.

– أمريكياً: الهدف هو إفشال الطموح الإيراني الاستراتيجي إلى ربط إيران مع العراق وسورية ولبنان والبحر المتوسط من جهة، وتشكيل منطقة آمنة، وذلك حفاظاً على أمن إسرائيل من خطر حزب الله والجيش السوري والقوى المتحالفة معه، إضافةً إلى الحصول على مناطق نفوذ في شرق نهر الفرات وشمال شرقه، امتداداً إلى مناطق نفوذها في العراق.

– إيرانياً: السيطرة على الهلال الخصيب إن أمكن، وأقله الحفاظ على ممرّ يوصلها عبر العراق وسورية، لضمان التواصل لمحورها مع حزب الله في لبنان.

وتلك الأطراف، إضافة إلى أهدافها اللوجستية، تسعى للسيطرة على ممرات أنابيب نقل الغاز المزمع إنشاؤها في الشرق الأوسط وصولاً إلى أوربا، فالكل يلعب لعبته ويمارس دوره كأنهم أوصياء على الشعب السوري ومقدراته، وإدخاله في جوٍّ من توترات وصراعات طاحنة تستمر لعقود من الزمن، تستثمرها القوى الاستعمارية الكولونيالية وأتباعها الإقليميون والمحليون، لاستنزاف الخيرات والمقدرات في بلدان الشرق الأوسط التي هي، في الوقت نفسه، سوقٌ رائج لشركات السلاح والأمن، وإعمار ما دمره بتلك الأسلحة، وبذلك يزوّدون خزائنهم بالمال ويحلّون أزماتهم الخانقة التي يمرون بها، في كل مرحلة من مراحل التطور التكنولوجي لقوى الإنتاج، التي من المفروض أن يرافقها تطور علاقات الإنتاج، بما يحقق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية. فهل يعي قادة الشعب السوري بكل مكوناته وأحزابه في سورية هذه اللعبة اللاأخلاقية؟ وهل يتداركون هذا الخطر على سورية وشعبها ومستقبلها، وينقذون بلادهم من الوحوش القادمة لافتراسها؟

إنه سؤال برسم القوى الوطنية الشريفة والحريصة على وحدة سورية أرضاً وشعباً، لأنهم وحدهم المخولون باختيار شكل وآلية إدارة بلدهم عبر حوار وطني سوري سوري، وعلى الأراضي السورية.

إبراهيم الحامد

أزمة في الديموقراطية الاجتماعية «الإسكندنافية»

■ يصعب فهم الهيمنة السابقة للديمقراطية الاجتماعية وأزمتها الحاليّة في معظم أوربا في القرن الأخير، من دون تحليل انتقال العلاقة بين نقابات العمّال والحركة العمّالية من جهة، وأرباب العمل وجناح اليمين من جهة أخرى، من المواجهة إلى التسوية.

التسوية التاريخية بين العمّال وأصحاب رؤوس الأموال، توّجت نضالاً طبقياً شاملاً رجّح كفّة ميزان القوى لصالح العمّال. وتعامل أرباب العمل مع هذه التسوية كخطوة تكتيكية للتصدّي للتطرّف المنتشر في الحركة النقابية القوية والمتنامية، وإخماده. اتّخذت هذه التسوية في النرويج طابعاً رسمياً من خلال أول اتفاقية بين الاتحاد النرويجي لنقابات العمّال، واتحاد أرباب العمل، في عام ١٩٣٥. وشهد العام نفسه فوز حزب العمال النرويجي بالسلطة لأول مرة، بدعم من حزب الفلاحين.

شكّلت هذه التسوية أساس العصر الذهبي للديمقراطية الاجتماعية. وكانت بالفعل تسوية حقيقية جعلت أصحاب العمل في النهاية يقدّمون عدداً من التنازلات لنقابات العمال والحركة العمالية، من بينها الموافقة على تدخّلات سياسية كبيرة في السوق. وبذلك تمّ إرساء الأساس لانطلاق عجلة تقدّم اجتماعي عظيم حقّقه العمّال، لتتشكّل دولة الرّفاه ويولد النموذج النرويجي أو النموذج النوردي.

منذ تأسيسه في عام ١٩٣٥، برز حزب العمّال النرويجي بوصفه حزب العدالة الاجتماعية، واضعاً الاشتراكية نصب عينيه هدفاً بعيد المدى. وإذا وضعنا جانباً الخلاف الدائم على اليسار حول استراتيجية الديمقراطية وتكتيكاتها، فإنّ حزب العمّال برز فعلاً حزباً جماهيرياً للطبقة العاملة. غير أنّ التسوية الطبقية لم تسهم فقط في التقدّم الاجتماعي، بل أثبتت أيضاً أنّ لها تأثيرات غير متوقعة. فالدور المركزي لحزب العمّال في تطبيق التسوية أدّى إلى تحوّل في تنظيم الحزب وسياساته على حدّ سواء. وقاد ذلك إلى عدّة أمور، من بينها القضاء على نزعة التطرّف في الحزب عبر تبني إيديولوجيا تقوم على الشراكة الاجتماعية. باختصار، تحوّل الحزب من منظّمة جماهيرية للشريحة العاملة إلى (مدير) للتسوية الطبقية. وهنا بالذات تكمن جذور أزمة الديمقراطية الاجتماعية اليوم.

شراكة اجتماعية

يعتبر ما يعرف بالنموذج النرويجي المولود الحقيقي لإيديولوجيا الشراكة الاجتماعية. بالنسبة إلى أرباب العمال، شكّلت التسوية الطبقية خطوة تكتيكية لتقويض الحركة العمّالية القوية ذات المنحى الاشتراكي. ولكن بدت التسوية بالنسبة إلى الديمقراطية الاجتماعية كشكل أعلى من المنطق – شعور جماعي مبني على حقيقة أنّ (أرباب العمل أيضاً فهموا أن التعاون بدلاً من التسوية يصبّ في مصلحتهم)– كما يكرّر الديمقراطيون الاجتماعيون النرويجيون.

بناءً على هذه الإيديولوجيا، طوّرت الديمقراطية الاجتماعية لاحقاً فهماً شاملاً للمجتمع، حيث الاقتصاد (رأس المال) يمكن أن تحكمه التنظيمات السياسية والتدخّلات في السوق (الكينزيّة). بهذه الطريقة، يمكن إرساء رأسمالية منضبطة وخالية من الأزمات واجتثاث البطالة الجماعية والفقر والبؤس، كما في ثلاثينيات القرن الماضي. وتمّ تطويع الصراع الطبقي وتقليصه بطرق عديدة إلى منافسة جماعية مؤسّسية على غرار مفاوضات الاتفاق الجماعي التي تجري مرتين سنوياً.

وُضع هذا الفهم برمّته على المحك خلال الأزمات التي شهدتها الرأسمالية في سبعينيات القرن الماضي، من أزمة النفط إلى أزمة النقد إلى أزمة السلع... وأخيراً الأزمة الاقتصادية الشاملة، التي حلّت مكان فترة النمو الاقتصادي والاستقرار التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية. وما عادت تفلح السياسة الديمقراطية الاجتماعية للتدخل في السوق وتنظيمه. وفي موازاة ذلك ارتفع الركود والتضخّم والبطالة. وبالطّبع كانت هذه الأزمة بطرق عدّة متناقضة مع النظرية الاجتماعية والإيديولوجيا السائدة ضمن حزب العمال. وتناقضت مع هذه النظرية أيضاً ردود فعل أرباب العمل واليمين، إذ مهّد (المنطق الجماعي) الطريق لعدوان أكبر من أي وقت مضى ضد النقابات العمّالية ودولة الرفاه. وأصبحت النيوليبرالية ردّ أرباب العمل واليمين على الأزمة. وهذا العدوان فاجأ حزب العمال ذا المنحى التوافقي، ولم يستطع الردّ بالمثل.

التحالف مع الشيطان

أصبح الإذعان للعدوان النيوليبرالي هو الرّد. وتدريجياً، تبنّت الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية الأجندة النيوليبرالية أكثر فأكثر، وذلك عبر الخصخصة ورفع القيود عن السوق وإعادة هيكلة القطاع العام إلى نماذج تنظيمية وإدارية مستوحاة من الإدارة العامة الجديدة وموجّهة نحو السوق. أسهم ذلك أكثر في تعزيز النزعة النيوليبرالية ضمن حزب العمّال، كونه ضمّ كثراً من بيروقراطيي الدولة، الذين نفّذوا هذا التحوّل، وانتهى بهم المطاف مديري شركات من أصحاب الرواتب المرتفعة. وبذلك تغيّر الأساس الاجتماعي للحزب، بشكل كان من الصعب جداً تحويل مساره أو إعادته إلى ما كان عليه. ولكنّ الديمقراطية الاجتماعية ليست الوحيدة التي تعاني اليوم. فالقوّتان الرئيسيتان في المشهد السياسي الأوربي ما بعد الحرب العالمية الثانية تواجهان مشاكل جمّة واضطراباً سياسياً كبيراً. ففي عدد من الدول الأوربية الغربية، كان الصراع بين الديمقراطيين الاجتماعيين وما يعرف بالأحزاب المحافظة المسؤولة اجتماعياً، مهيمناً، وغالباً ما تبادلا المواقع. فالطرفان كانا مرتبطين بتسويات طبقية بأشكال مختلفة وسمت سياساتهما. ولكن تلك التسوية التاريخية انهارت اليوم وتنهار ببطء في الدول الإسكندنافية. لذلك فإننا لا نشهد فقط على أزمة الديمقراطية الاجتماعية، بل أيضاً على أزمة النموذج السياسي المبني على التسوية في أوربا فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

في المرحلة الأولى من هذه الأزمة السياسية، برزت أحزاب يمين متطرف جديدة، مثل الجبهة الوطنية في فرنسا، وما يعرف بأحزاب الحرية في النمسا وهولندا والحزب التقدمي في النرويج. وغياب أي سياسة بديلة من جانب الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية والجناح اليساري، يعني أنّ عليها أن تتحمّل جزءاً من المسؤولية عن هذا التطوّر. فهي لم يكن لديها أي سياسة للرد على الهجمات النيوليبرالية على المكاسب الاجتماعية، التي تحققت عبر دولة الرفاه. غير أنّه في السنوات الأخيرة، رأينا أنّ بدائل سياسية جديدة بدأت تزدهر أيضاً على اليسار (سيريزا في اليونان وبوديموس في إسبانيا وموميتنوم في المملكة المتحدة وحركة السلطة للشعب في إيطاليا). هذه مبادرات حديثة العهد وغير كاملة يمكن أن تفشل (مثل سيريزا) أو تنجح، ولكن في جميع الحالات سوف تتطوّر أكثر مع النضالات والتجارب والانتصارات والخسارات.

غياب البدائل الحقيقية

لا توجد أدلّة كثيرة على أن حزب العمّال سيتمكّن من إجراء تحوّل ذاتي إلى ما نحتاجه، كقوة تحريرية في الوضع الراهن. فالأساس الاجتماعي للتجديد الجذري ضعيف جداً، فيما القيود التنظيمية شديدة. ومع ازدياد المشاكل الاجتماعية وارتفاع عدد الأشخاص الذين يشعرون بعدم الاستقرار والأمان إلى مستويات غير مسبوقة، سيحتاج أي حزب يساري إلى بدائل ورؤى وحلول أكثر راديكالية، تكون مختلفة عمّا لدى أحزاب الوسط أو اليمين. وفي غياب البدائل الحقيقية، ما زال مرجّحاً أن تفوز أحزاب النظام الديمقراطي الاجتماعي الحالي في الانتخابات من دون تغيير أعمق. فالناخبون المحبطون ينتقلون من خيار سياسي إلى آخر حين يدركون أنّ الوعود الانتخابية يتمّ النكث بها. وهذا بالكاد سينعكس ارتياحاً لدى زعماء الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية المعاصرة والمثقلة بالأزمات. وبدأ عدد متزايد من العمّال، والشباب بشكل خاص، المطالبة بالمزيد من الحلول الجذرية. وكما قال غرامشي في مقولته الشهيرة: (تتألّق الأزمة تحديداً من حقيقة أنّ القديم يموت والجديد غير قادر أن يولد. وفي هذه الفترة الفاصلة تظهر مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأعراض المَرَضية).

أسبيورن فال

ترجمة: لمياء الساحلي
(الأخبار)

حول إصلاح القطاع العام

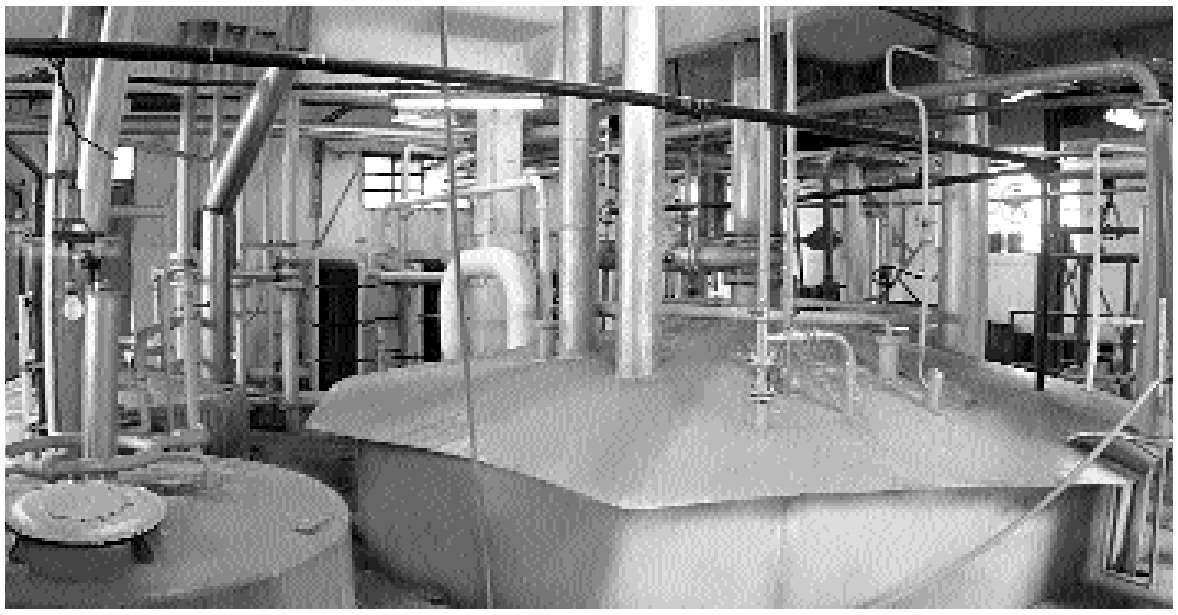

فؤاد اللحام

■ اللجان التي شُكِّلت سابقاً بخصوص إصلاح القطاع العام (خصوصاً الصناعي)، وكذلك الدراسات التي أجريت، والقرارات التي اتخذت في هذا الإطار خلال الفترة المنصرمة، لم تستطع تحقيق الهدف المرجو منها، لأسباب عديدة في مقدمتها:

١- عدم جدّية الجهات المعنية في تنفيذ هذه المهمة، نتيجة الافتقار إلى رؤية واضحة ومعتمدة حول وجود القطاع العام ومستقبله، في إطار رؤية شاملة للاقتصاد الوطني.

٢- جزئية المعالجة والحلول المقترحة.

٣- نقل تجارب خارجية ومحاكاتها، دون مراعاة الوضع المحلي.

٤- عدم وجود توافق أو إجماع وطني على ما طُرح، لا من القيادة السياسية والحكومية، ولا من قبل اتحاد العمال والقوى السياسية والاجتماعية الأخرى، لأسباب عديدة في مقدمتها: الخوف من (تهمة) تصفية القطاع العام.

وهو ما أدى عملياً إلى التأجيل المستمر في إنجاز هذه المهمة، وبالتالي استمرار صعوبة أوضاع القطاع العام، وازدياد حدة المشاكل التي يواجهها، ما جعل مهمة إصلاحه تزداد صعوبة وتعقيداً وكلفة مع مرور الوقت وغياب الإرادة الجادة والحقيقية لتنفيذها.

مؤخراً عاد الحديث، من جديد، عن إصلاح القطاع العام، وشُكِّلت لجنة في آذار ٢٠١٧، برئاسة وزير الأشغال العامة والإسكان وعضوية وزراء الاقتصاد والمالية والصناعة والتنمية الإدارية ورئيس هيئة التخطيط والتعاون الدولي، والأمين العام في رئاسة مجلس الوزراء، وممثل عن المجلس الاستشاري في رئاسة مجلس الوزراء، وممثل عن اتحاد نقابات العمال. وعلى الرغم من مضي أكثر من عام على تشكيل هذه اللجنة إلا أن نتائج أعمالها لم تظهر حتى الآن، وقد أعطيت الجهات العامة فترة ستة أشهر، تنتهي في شهر حزيران القادم، لإنجاز المطلوب منها.

أمور عديدة لابد من مراعاتها فيما يتعلق بالقطاع العام، ولابد من أخذها بعين الاعتبار، في مقدمتها:

١- تأكيد الرغبة الرسمية الجدية في إنجاز خطة إصلاح القطاع العام خلال فترة محددة (ستة أشهر مثلاً)، وتحديد البرنامج الزمني لتنفيذها خلال سنتين.

٢- تأكيد أن عملية إصلاح القطاع العام شرط أساسي للمحافظة عليه، وتمكينه من القيام بالدور المطلوب منه إلى جانب القطاع الخاص في عملية إعادة البناء، لأن المحافظة (الشكلية) عليه بوضعه الراهن ، دون إصلاحه ، ستعطي عاجلاً أم آجلاً المبررات والذرائع أمام أعدائه لتصفيته.

٣- التوافق على توجهات أساسية لإصلاح هذا القطاع، بحيث تتولى لجان فرعية مختصة إعداد الخطط التفصيلية لإصلاحه استناداً لهذه التوجهات بعد اعتمادها، وتحديد برنامج زمني لتنفيذها، وهذه التوجهات هي:

* التمسك بالدور الأساسي للقطاع العام وخصوصاً في القطاعات والمرافق السيادية الأساسية.

* ربط إصلاح القطاع العام بعملية الإصلاح الاقتصادي وإعادة هيكلة الاقتصاد السوري، بحيث يكون إصلاح القطاع العام جزءاً مكملاً ومتكاملاً معها.

* تعديل الأنظمة والقوانين الحالية التي تحكم عمل القطاع العام في ضوء الدروس المستقاة من تطبيقها في الماضي والحاضر، مع مراعاة خصوصية كل قطاع ونشاطه، وبشكل يوفر له البيئة القانونية والإنتاجية والمالية والتنظيمية المناسبة ليكون قطاعاً رابحاً قادراً على التوسع مستقبلاً بإمكاناته الذاتية.

* تشكيل فرق عمل من المختصين بكل قطاع ونشاط من خارج الجهات العامة لتقييم الوضع الراهن للقطاع العام موضوع البحث إدارياً وتنظيمياً وإنتاجياً ومالياً (التمويل والفوائض والتشابكات الخ)، لضمان موضوعية التقييم وتقديم مقترحات وخيارات عملية لمعالجة أوضاع المؤسسات والشركات العامة.

* يمكن في حالات محددة (تقترحها اللجان المختصة) أن تجري المشاركة مع مستثمرين من القطاع الخاص، لتمويل عملية استبدال نشاط بعض الشركات أو تطوير بعض الشركات الحدية أو المتعثرة إدارياً وفنياً وتسويقياً من خلال عقود خاصة أو بالمشاركة أو بالطرح للاكتتاب العام للجمهور أو الجهات العمومية (النقابات المهنية، صناديق التوفير، التأمينات الاجتماعية)، بعد تقييم موضوعي ودقيق لموجودات الشركات المعنية، وعلى أن تجري عملية المشاركة حصراً من خلال الإعلان واستدراج العروض لهذه الغاية للحصول على أفضل العروض وتأمين الشفافية في دراستها وتلزيمها.

* اعتماد صيغة جديدة وعملية لمجالس الإدارة والهيئات العامة للمؤسسات والشركات العامة تكون حصراً من المختصين بعمل المؤسسات والشركات. وتتولى مجالس الإدارة والهيئات العامة المهام والاختصاصات المتعارف عليها، وبشكل خاص اعتماد السياسات والخطط ومتابعة تنفيذها وتطويرها، وترشيح شاغلي المناصب الأساسية وتعيينهم في جهات القطاع العام التي تتولى مسؤوليتها من خلال الإعلان والمقابلات.

* تقييم تجارب الشركات المشتركة وكذلك عقود الاستثمار والـ(BOT) التي جرت بين بعض جهات القطاع العام والقطاع الخاص المحلي والعربي والأجنبي، واستخلاص نقاط الضعف والقوة فيها، لتطويرها وللاستفادة منها في المرحلة المقبلة.

* الاهتمام بمسألة التدريب والتأهيل من أجل تعويض النقص الموجود حالياً في اليد العاملة من حيث العدد والنوع، وكذلك لتوفير حاجة مرحلة إعادة الإعمار من اليد العاملة، لأنه لا يعقل أن يجري الاعتماد على يد عاملة خارجية في هذه العملية، وهذا يتطلب رؤية خاصة لعملية التدريب تضمن تحقيق الاحتياجات العددية والنوعية، وتوفير مستلزمات ذلك من مؤسسات التدريب وبرامج التدريب والمدربين، وتوفير الحوافز المشجعة على التدريب وعلى المحافظة على المدربين والمتدربين، وتمكينهم من تطبيق ما تدربوا عليه بشكل عملي.

١٠- إصلاح القطاع العام، بوضعه الحالي، عملية مؤلمة ولا يمكن أن تتحقق بلمسة سحرية دون آثار جانبية لذلك يجب الاستعداد مقدماً للقبول بشيء من الألم والتضحية في هذا المجال، في الوقت الذي يجب فيه العمل على إنجاز هذه العملية في أسرع وقت وأقل كلفة وخسارة، وتحقيق أفضل النتائج الممكنة.

بعد التوافق على التوجهات العامة وإقراراها من قبل الجهات الحكومية المعنية، يجري تشكيل فرق عمل قطاعية تتولى إعداد الخطط التفصيلية لجهات القطاع العام ذات الأولوية ضمن برنامج زمني محدد، على أن تكون هذه اللجان مكونة بشكل أساسي من خبراء مختصين.

التعفيش والعودة إلى نقطة الصفر...

■ العودة إلى نقطة الصفر...

أربع كلمات باتت تجسد حال السوريين المهجّرين اليوم، فقد خرجوا من بيوتهم بحثاً عن أمن مفقود، ومن يعلم إن كان ذاك المسكن أحيل إلى أنقاض أم أنه مازال واقفاً ينتظر عودة أهله ليبثوا الحياة من جديد في هوائه الجاف، ويعيدوا الدفء لجدرانه الباردة، ويضيئوا النور في غرفه المعتمة، وأن يضعوا لمساتهم المرتبة على أثاثه المبعثر المغبر، ذاك الأثاث الذي صرفوا مدخراتهم لشرائه مرة وتجديده مرة أخرى، ذلك الأثاث نفسه الذي سُحب من بين جدران منازلهم مرغماً، ليوضع في سيارات كبيرة ويرمى في مستودعات كانت مهجورة فارغة قبل أن يسطو ضعاف النفوس على منازل المهجرين ويستولوا على متاعهم ليملؤوا مستودعاتهم حتى الجمام. فمنذ متى كان السوري يقتحم منزل جاره وابن بلده ويسرق ممتلكاته؟ منذ متى أصبحت السرقة والنهب من شيم أهل بلادنا الذين لطالما كانت الأمانة من طباعهم المتأصلة والنبيلة، فما الذي تغير؟!

إنها الحرب التي صبغ سوادها على قلوب الكثيرين، فهي كالثقب الأسود الذي يلتهم كل شيء حوله، فكانت الأمانة من أثمن ما فُقد داخل ظلامها، وتركتنا نعاني من أثر فقدانها المدمر.

وإن كنا نتحدث عن منازل فرغت ومستودعات ملئت، فماهي إلا محاولة للوقوف عند ظاهرة هُمِّشت من قبل كثيرين، ولكنها استشرت وانتشرت منذ بداية الحرب، فلا يمكن أن ننسى كيف هُرِّبت مصانع حلب إلى دول الجوار، وكيف تملّك الدواعش كل ما وقع تحت أيديهم من مال وذهب ومعامل ومصانع ونفط فضلاً عن مناطق أخرى كثيرة لم تُرحَم من قسوة من عاث فيها فساداً، وعلى وجه التحديد المناطق غير الآمنة. فمن اختار البقاء فيها وقد سبق أن فقد بيته لم يجد من يمنعه من كسر باب أحد المنازل والعيش فيه، أو سرقة بضاعة المحال الموجودة وإعادة بيعها من جديد بأثمان بخسة لا تصل إلى ربع قيمتها الحقيقية، لتجد السبيلها بطرق لم تعد تخفى على أحد إلى الخارج لتباع في أسواق أصبحت تعرف بأسواق التعفيش التي أتخمت وفاضت بما فيها. وقد وجدت هذه الأسواق مكاناً لها في كل قرية وبلدة نازفة، وفي كل محافظة مصابة (إدلب، درعا، دير الزور، اللاذقية، حمص، حماة، دمشق وريفها، حلب وريفها الواسع...وتباع فيها البضائع المسروقة المختلفة (جملة ومفرّق) وتنشر ضمن صفحات التواصل الاجتماعي على أنها مستعملة، فيتهافت عليها كثير ممن يظنون فعلاً أنها مستعملة، ومنهم من يعلم في صميمه أنها مما جرى تعفيشه، ويُقبل على شرائها رغم ذلك.

كلنا نسمع عن أبنية تباع بما فيها، وسيارات لا تنتهي تنقل فوق عجلاتها آلاف المولدات والآلات ومئات آلاف الأجهزة الكهربائية الجديدة والمستعملة، وقد أصبحت السرقة مستويات تقسم وتوزع على عصابات النهب المتخصصة من الأثاث المنزلي بكل أنواعه، إلى جديد المنازل المهدمة، حتى الأسلاك الكهربائية لم تسلم من دناءة نفوسهم، فأخرجوها من جدران المنازل الخاصة والطرقات العامة وصهروها ليخرجوا نحاسها ويبيعوه مقابل القليل.

وهذه الروايات للأسف ليست مجرد إشاعات بل واقع مقيت سبب شرخاً كبيراً في نفوس السوريين، وجرحاً عميقاً ستصعب معالجته لما له ممن آثار كبيرة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي.

يتخذ البعض الفقر والتهجير ذريعة لكي نرضى بشراء المتاع المسروق، نظراً لارتفاع سعر الجديد وعدم القدرة على الحصول عليه، وحتى الذين لم يتعرضوا للتهجير أغراهم السعر المنخفض وانضموا إلى الذين ضعفوا أمام قسوة الحرب وكانوا ما يناسب بيوتهم ومحلاتهم.

نحن لا ننكر وجود شريحة كبيرة من الناس الذين تعففوا عن شراء المسروقات وترفعوا عن السرقة، وآثروا العمل الصالح للحصول على الرزق الحلال، ولكن عندما قبلت فئة ما في أول الأمر شراء المسروقات، أصبحنا مسؤولين عن تشجيع السارقين والمعفشين على الاستمرار في أعمالهم الوضيعة، وشركاء صامتين في هذه الجريمة الأخلاقية، لأننا لم نمنع أنفسنا وغيرنا من إقصائهم ومقاطعتهم للحد من تجارتهم التي سنكون أكبر الخاسرين بسببها، لأنها تجارة الظل التي تصب في جيوب منتهزي الحروب والأزمات، والتي ستلقي بظلها المريض على اقتصادنا المتعب، فبينما تصب هذه الأموال لتنشئ مشاريع جديدة تنشط الاقتصاد، ستذهب لشراء ما كان أصلاً ملكنا من جديد. هذه الأموال المهدورة في شراء السلعة نفسها مرتين لن يستفيد منها اقتصادنا الوطني، بل ستكدّس في خزائن المعفّشين. وإن فرضنا أن المصارف فتحت باب القروض أمام الناس فستذهب أموال القروض للكساء وفرش المنازل بالأثاث والمستلزمات الضرورية في كل منزل، ولن يتم استثمارها بالشكل الصحيح الذي ينبغي له أن يدفع عجلة الاقتصاد في مشاريع صغيرة ومتوسطة، فيقع المواطن المستنزف في دوامة الدين وسداد القروض والفوائد المتراكمة عليه، فكيف سيكون حال من لا يؤمّن سوى الحد الأدنى من الطعام والشرب ولا يستطيع دفع إيجار مكان إقامته إلا بشق النفس؟! ما الطريقة المشروعة التي ستمكنه من تعويض ما نُهب وسرق وهدم؟

نحن اليوم بحاجة للعودة إلى الأخلاقيات التي تربينا عليها، وبأشد الحاجة لأن تقوم وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك بضبط البضائع المسروقة ومصادرتها، ومعاقبة كل من راودته نفسه أن يتاجر بممتلكات الناس المسروقة والمنهوبة، وكل من أعطى لنفسه الحق ببيع ما لا يملك، وأن تمنع بشكل جاد وحازم كل وسيلة تساعد على انتشار (سوق الحرامية)، وذلك بهدف حماية أهل بلادنا من الوقوع في كماشة مستغلي الأزمات.

ولاء العنيد

الفساد في زمن العولمة «المتأمركة»

■ كان لعولمة الفساد الدور الأهم في غزو الدول وتقويض نموها وتنميتها، ولإبراز شخصيات أغلبها غير منتمية لبلدانها أولاًلام مواطنيها. وفيما كانت آفة الفساد تقتصر في الماضي على دوائر بعينها في هذا البلد أو في ذلك الركن من خارطة العالم، فإنه مع تزايد المناداة بتطبيق برامج الإصلاحات الهيكلية، وسياسات الانفتاح الاقتصادي من جانب المؤسسات الدولية المانحة (صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية)، والنشاط الذي يبذل من أجل تصعيد القدرة التنافسية للمنتجات، ومع تزايد حرية حركة تنقل الرساميل، ونشاط غسيل الأموال والجريمة المنظمة- اتسع الفساد إلى حد الاستشراء في جميع أنحاء العالم، وأصبح السمة المميزة الموجودة في الدول الغربية ذات الأنظمة الديمقراطية العريقة، وكذلك في الأنظمة الديكتاتورية والشمولية المنتشرة في بلدان عالم الجنوب، ولدرجة أن دخل قاموس السياسة الدولية مصطلح (الفساد العولمي) أو (الفساد الكوكبي)، فالفساد طغى بصورة كبيرة جداً في زمن العولمة وتقونن وأصبح ثقافة مقبولة من أغلب الشعوب، وانتشر بشكل كبير افقياً وعمودياً وأصبحت الكثير من ممارساته تمارس بكل دول العالم بعد أن كانت الكثير من الدول محصنة لأنواع كثيرة منه كتجارة الأعضاء والرقيق والآثار والإرهاب بكل أنواعه. فالعولمة اعتمدت على السياسات الليبرالية الجديدة، وألغت الحواجز والحدود أمام حركات تنقل السلع والرساميل، وتحولت إلى حركة تاريخية مضادة اقتلعت الأفكار الاشتراكية والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية التي طغت طيلة القرن العشرين، وسحبت المكاسب التي حققها العمال والطبقة الوسطى، وانتهت بالتوقيع على اتفاقيات منظمة التجارة العالمية (الغات) التي تولت توقيع العقوبات على من لا يذعن لسياسة حرية التجارة.

ففي ظل توسع وانتشار قوانين العولمة مدعية الليبرالية، وما آلت إليه من حركية في الأسواق الحرة والأموال الأجنبية، وما صاحب ذلك من انعدام في الرقابة، ومنه الانحلال في القيم والأخلاق وانتشار للسلوكيات اللا معيارية، التي هدفها الوحيد هو الوصول إلى المادة والبحث عن الرفاهية، انتشرت ظاهرة الفساد عبر المجتمعات، واستفحلت من خلال نقل أفكار وقيم المنفعة إلى شعوب العالم قاطبة، لا سيما إلى دول الجنوب، بإخضاعها لتحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية، وهي على مظهرها المعروف تمثل رسملة العالم، أي أن العولمة عملية يراد منها نشر مبادئ النظام الرأسمالي وفرضها على عامة الأساليب الاقتصادية التي تتبعها المجتمعات الأخرى. وتمثل مؤسسات المالية والاقتصادية كصندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومنظمة التجارة العالمية والشركات المتعددة الجنسيات مؤشرات العولمة وحقل تطبيقها، كما أن نظام الدولة القومية وانتشار منظمات وقوانين الحرية والديمقراطية مؤشر آخر لعصر العولمة هذا.

وكان لهذه العولمة آثار سلبية متعولمة يعاني العالم بأسره من ويلاتها، وسيزداد تأثيرها على العالم بمجمله، ومنها انتشار الجريمة المنظمة التي تأخذ طابع الإرهاب بكل أشكاله، والفساد الإداري المسرطن، وجرائم المخدرات، وأزمة المديونية وزيادة عدد الفقراء وأغلبهم تحت خط الفقر، وزيادة الانحلال الأخلاقي، وانهيار داخلي مبطن لأغلب الدول الوطنية وتقسيم المجتمع إلى طبقتين واضحتي المعالم تتباعد المسافات بينهما ويزداد الصراع حدة بين مصالح أصحاب الأموال ومصالح أغلب الفئات الاجتماعية. وفيما يرى البعض أن العولمة تمثل الرأسمالية الجديدة المنطوية حول عولمة الاقتصاد بوصفها (نظام اقتصاد السوق الحر)، فإنه مع نمو العولمة الليبرالية الجديدة، ازداد تركيز الثروة، وتعمق التفاوت واللا مساواة في توزيع الدخل بصورة فاضحة، واتسعت الفروق بين الفئات الاجتماعية والدول اتساعاً لا مثيل له، كما أن الآفات الاجتماعية عمت المحيط وبضمنها الفساد الاجتماعي.

ولما كان للفساد أثر تدميري تهشيمي للبنى ومعرقل للنمو والتنمية ولاستنزاف الموارد، فإن الإحاطة به لمواجهته واقتلاع جذوره هي أهم وسيلة لأي نمو أو تنمية، أو أي إعادة بناء وانطلاق للدول التي كان الفساد مدخلاً مهيئاً لاختراقها وتدميرها، بعد أن كانت السيرورة التاريخية للبناء تحصنه وتقلل من الأمراض القادرة على تهشيمه وتدميره، ولا يمكن تقويض الفساد أو اجتثاثه من دون فرض القانون وتنفيذه بقوة، ولا يمكن الوصول إلى هذه الآلية من دون تحكم الحكومة بالإدارة الاقتصادية والاجتماعية طبعاً مع الاستثمار الصحيح لكل الموارد الأخرى بما يحقق البرامج الموضوعة، مع العلم أن هناك الكثير من يظن أنه بالفساد تزداد أرباحه ويتعاظم نفوذه، والعكس هو الصحيح، لأن الفساد سيف ذو حدين آنياً وقاطع لرأسمال مرتكبه لاحقاً، وكذلك هناك من يظن أن الفساد يدار بشكل يمنعه من تجاوز خطوط حمراء من الأمن والأمان، وكذلك هذا أكبر خطأ لأن الفساد مسبب لكل الموبقات، فهو مخفف للنمو والتنمية وهو طارد للاستثمار وهو مشجع للاحتكار وهو طارد للكفاءات ومبذر للثروات وهو قاتل لأي فكر تنموي تطويري، ولذلك فإن الإحاطة بالفساد تستدعي الاعتراف به وتشخيص حالاته ومعرفة الأسباب والأدوات المشجعة والمحفزة له لوضع العلاجات القادرة على تقويضه والنيل منه، ومن دون وجود أدوات رقابية ومحاسبية فاعلة لا يمكن أي مواجهة لهذا السرطان، وإنما إعطاؤه البيئة المشجعة على تكاثره وتقويته، وكذلك فإن التغلب على ثقافة الفساد التبريرية الانهزامية واجب على كل وطني حقيقي، وهذه تكون بتقوية المنظومات القيمية والأخلاقية عبر مؤسسات التنشئة المختلفة التعليمية الدينية الأسرية الإعلامية، وكذلك بتبني برنامج إصلاحي متكامل اقتصادي إداري اجتماعي وفق أهداف واضحة وبرامج محكمة هادفة ومتابعة ومراقبة مع محاسبة مستمرة، فلكل هدف أدواته الخاصة، وإن تغيير القبعات لا يوصل إلى الأهداف المنشودة، وإن انتصار عقلية الفساد هو هدر لأي جهود ودماء بذلت لحماية الأوطان التي كان الفساد مدخلاً للنيل منها ومسبباً لتطويل فترة التصدي لها.

د. سنان علي ديب

منـاقشـة حـول الاستثمار الأجنبي المباشر

■ يتعلق أحد أكثر النقاشات إثارة للخلافات داخل ميدان علمَي الاقتصاد والاجتماع بالتأثير التنموي للاستثمار الأجنبي المباشر على الاقتصادات الأقل تقدماً في العالم. ويشترك الكثير من العلماء والباحثين في هذه النقاشات، ويخرج بعضهم من خلال بناء علاقة بين المؤشرات الكلية للاستثمار الأجنبي المباشر، والتنمية الاقتصادية في عينة من البلدان، باستنتاجات حول العلاقة السببية بين الاستثمار الأجنبي المباشر والتنمية.

وتبدو النتائج المستقاة من هذه الاستراتيجية البحثية مختلطة، ومثيرة للخلاف بدرجة كبيرة، ومع ذلك تذهب كثرة من الأدبيات في مجال علمي الاقتصاد والاجتماع إلى أن الاستثمار الأجنبي المباشر يضرّ بالاقتصادات الفقيرة. والنصيحة السياسية التي تنبع من هذا التحليل هي ببساطة ضرورة أن تقوم البلدان الفقيرة بتقليص الاستثمار الأجنبي المباشر، أو إلغائه، لأن الاعتماد على الاستثمار الأجنبي المباشر يقود إلى نمو اقتصادي على المدى القصير، لكنه يقود أيضاً إلى تراخٍ في الوتيرة الاقتصادية على المدى البعيد.

يقوم الاستثمار الأجنبي المباشر بإنشاء شركات احتكارية ثنائية أو متعددة في السوق، وفي نهاية المطاف سوف تبدأ هذه الشركات في تصدير القيمة الفائضة خارج البلد الذي تم اختراقه.

إن هذا الأثر، الذي يجري تجميعه من أنشطة الشركات على المستوى الجزئي، يتفاعل مع عدد من الآثار الاقتصادية الكلية التي سببتها مختلف العوامل الخارجية السلبية الناجمة عن الاستثمار الأجنبي المباشر (وهي التخلف، التفاوت الاقتصادي، التفاوت القطاعي والجغرافي.. إلخ)، مما يضر بالنمو الاقتصادي.

لقد عارض هذه الرؤيةَ علماءُ اقتصاد واجتماع آخرون، ورأوا أن الاستثمار الأجنبي المباشر له آثار جيدة على الاقتصادات النامية، حتى إن لم تكن بمثل جودة تكوين الرأسمال المحليّ. فالاستثمار الأجنبي جيد بغض النظر عن مصدره، وهو يقود إلى إحداث تنمية اقتصادية، لأنه، أي الاستثمار الأجنبي المباشر، حسب رأيهم، يوفر مجموعة واسعة من الفوائد للشركات والاقتصادات التي تحصل عليه.

أولاً- يجلب الاستثمار الأجنبي المباشر المعرفة والقيم الغربية الجوهرية على شكل تقنيات إدارية، وأخلاقيات عمل وسلوكيات أصحاب المشاريع، وشدة العمل، وتقنيات الإنتاج.

ثانياً- يتيح الاستثمار الأجنبي المباشر إمكانية الرقي الصناعي عن طريق ربط الشركات وتقييدها داخل شبكات العمل التنموية والبحثية العالمية، ومن ثم يحقق نقل التكنولوجيا، وأيضاً عن طريق تقديم قدر كبير من الرأسمال الاستثماري.

ثالثاً- يتيح الاستثمار الأجنبي المباشر إمكانية نمو المشروعات من خلال توفير النفاذ إلى الأسواق الغربية الجوهرية، ويوفر هذا النمو بدوره مصدراً لوظائفَ جديدة، ويعمل على تحفيز الطلب على المدخلات من جانب الموردين المحليين.

رابعاً- يعمل الاستثمار الأجنبي المباشر على إدماج مدخلات جديدة للسوق من شأنها تقليص احتكار الاقتصاد المتلقي.

وفي تناقض صارخ مع هذا التقييم، تقف مجموعة من العلماء والأكاديميين في الغرب والشرق، الذين يعتبرون الاستثمار الأجنبي طليعة الإمبريالية الاقتصادية الجديدة التي تروج لتنمية (غير مترابطة الأوصال). ونظراً للملكية الأجنبية للشركات، لا تتحقق الروابط العادية التي يمكن أن تتطور في سياق العمل التجاري المحلي، ويتم تصدير الأرباح إلى خارج البلد. وعلاوة على ذلك تعتبر الشركات الأجنبية طفيلية بشكل عام على الاقتصاد المتلقي (أو المضيف). إنها تسعى إلى بناء نفسها كشركات احتكارية، وأن تحصل على حصة السوق المحلي، كما أنها تنقص من قدر الاقتصاد المحلي عبر القضاء على:

أ- التنمية والبحث على المستوى المحلي.

ب_ الطلبات المقدمة للموردين المحليين، بل وحتى الإنتاج المحلي ذاته (عن طريق بيع سلع منتجة في أماكن أخرى من الإمبراطورية متعددة الجنسية في السوق المحلي)، وهي عملية يشار إليها باسم (تدمير السوق). ونتيجة لذلك تتسع الفجوة بين متلقي الاستثمار الأجنبي المباشر وبلد المنشأ والارتكاز للشركة متعددة الجنسية.

يستطيع كل طرف من أطراف النقاش الدائر حول الاستثمار الأجنبي المباشر أن يقدم الدلائل التي تثبت صحة موقفه، بيد أن أحداً لا يستطيع إلا أن يربط النمو بضرورة تحقيق الاستثمار في الاقتصاد. ويجدر تحليل الحاجة إلى الاستثمار، والأجنبي على وجه الخصوص، في السياق التاريخي. لم تحصل البلدان النامية على الكثير من الاستثمار لأجل تحفيز الاقتصاد، وبالتالي النمو، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة لأوربا، ويتفق عملياً جميع المحللين على أن أغلب المؤسسات في البلدان النامية تحتاج إلى قدر كبير من الاستثمارات الجديدة، لكن رأسمال الاستثمار الحالي مفرط الندرة في هذه البيئة، وحيث عادة ما تكون قروض البنوك المحلية باهظة، أو يمكن الحصول عليها من خلال صلات العملاء فقط.

وفي هذا السياق يمكن أن يشكل الاستثمار الأجنبي مصدراً هاماً للرأسمال المتاح، وذلك بشرطين:

أولاً_ أن يجري استخدامه وفقاً لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا يحتم أن يكون للدولة دور في تحديد اتجاهات توظيفه.

وثانياً_ عدم التقليل من قيمة أهمية اكتساب النفاذ إلى الأسواق العالمية.

إن جميع حالات (اللحاق بالركب) التي حققت نجاحاً في الظروف الراهنة قد اعتمدت على الصادرات لدفع هذه العملية.

من كل ذلك يمكن القول إن على البلدان النامية ألا تحجب أو تلغي الاستثمار الأجنبي المباشر، بل يجدر بها تشجيعه في اقتصاداتها، ولكن مع الأخذ بالحسبان ألا يكون مشروطاً، وأن يخضع لمتطلبات التطور الاقتصادي والاجتماعي في تلك البلدان، أي أن لا يكون بديلاً من سياسة التصنيع، وإنما يجب أن يخدم تشجيعه استراتيجياً كجزء من سياسة صناعية فعالة.

يونس صالح

كي لا ننسى.. كي نستلهم العِبر

■ عندما يقلب المرء صفحات الماضي، لا يسعى إلى مجرد التغني بأمجاد ذلك الماضي، أو تقديسه، بل يسعى أيضاً إلى التذكير بما فيه من عبر، ومآثر، ووقائع، وكل ذلك بقصد شحذ الهمم لمواجهة خطوب الحاضر، ومآسيه والتصدي للمحن، والعسف، والبلايا التي تقوّض مقومات الحياة العادية، وتهدم أركانها، وتشيع اليأس في نفوس الناس عامة، ولا شك أن ذلك يشكل أكبر تحدٍّ لقادة الرأي العام من مفكرين، ومثقفين، وزعماء سياسيين وحزبيين، كي يحذوا حذو من سبقهم، فلقد أسهم أولئك في مطلع عصر النهضة بدور مرموق في الدعوة إلى انتزاع الحرية، والخلاص من الاستبداد العثماني، الذي أناخ بثقله على كاهل العرب لأربعة قرون ونيّف. فتغنى الشعراء والأدباء بماضي العرب المجيد، وراحوا يحثون أبناء أمتهم إلى الاستيقاظ، والتنبه، ونزع ستار الذل، والخنوع والدفاع عن عروبتهم ودحر طغاة بني عثمان:

تنبّهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
وأنتمُ بين راحات القنا سُلبُ

وكان على العرب أن يخوضوا، بعد الخلاص من نير العثمانيين، غمار كفاح مرير، لمواجهة الغزاة الغربيين، وقدّم الشعب السوري أغلى التضحيات على مدى ربع قرن، لكنس الاستعمار الفرنسي، وأسهم الشيوعيون السوريون جنباً إلى جنب مع أبناء وطنهم في معركة الاستقلال المشرفة، وحملوا مشعل الفكر التنويري، وتطوعوا في ميادين النضال لمحاربة الجهل، والأوهام، والأضاليل، والتعصب، والظلامية.

أجل، كانوا حينذاك طليعة المنادين بالمساواة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، وتميزوا عن غيرهم باقتران القول والعمل، فعمدوا إلى توزيع المنشورات ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، تبُشر بالفكر الجديد، وتروّج القيم التقدمية والإنسانية، وانضووا في التجمعات، والمظاهرات الشعبية المناوئة للفرنسيين، يهتفون بسقوط الإمبريالية والاستعمار، ويقاومون رجال الأمن، وينتزعون ثقة الناس وتقديرهم، لنضالهم ولصبرهم على الشدائد. وفي سجلهم الناصع وقائع كثيرة لا تنسى ، والشواهد على ذلك لا تعد ولا تحصى، وعلى سبيل المثال لا الحصر روى الرفيق ميشيل عيسى أنه بعد ثلاث سنوات من التعذيب والقهر في سجن المزّة، إبان عهد مخابرات السراج زمن الوحدة، تقرر الإفراج عنه وعن رفاقه، فغمرهم عبق الحرية التي كانوا ينتظرونها، وأثناء خروجهم سمع مدير السجن يناديه بصوت عال قائلاً له : أنت يا ميشيل ستبقى عندنا، فعليك حكم آخر بالسجن لمدة ستة أشهر، لأنك كنت تحرّض الفلاحين ضد كبار أصحاب الأراضي، وثمة تقرير من الدرك يفيد أنك كنت تعلّم هؤلاء الفلاحين بهدف تحريرهم من الأمية وامتلاك المعرفة التي يجابهون بها أسيادهم . فكانت هذه المدة بعد خروج الرفاق ، كما يقول ميشيل، من أكثر أيام السجن وحشة وصعوبة وقهراً.

ومن الوقائع المشهودة في ماضي الشيوعيين المثير للإعجاب، المحاكمة التي جرت عام ١٩٣٤، لعدد من مناضليهم وقادتهم، بتهمة المشاركة في الاحتفال الذي كان يقام بذكرى ميسلون في ٢٤ تموز من ذلك العام. وقد حرص الشيوعيون على الإعداد الجيد للاحتفال، والحضور، وتداعوا إليه من مختلف منظماتهم في سورية ولبنان، فعقد فريق من عمال بيروت اجتماعاً، قرروا فيه إيفاد المناضل النقابي فؤاد قازان إلى ميسلون، لتمثيلهم والقاء خطاب باسمهم، فما كان من فؤاد إلا أن حضر إلى دمشق مع وفد كبير يربو عدده على خمسين، وكان في مقدمتهم القائد المعروف مصطفى العريسي، وزميله فؤاد جرجس قازان، وعبد العزيز الفاخوري، وعلي رضا صدر الدين، وسليمان حسن أبو إبراهيم، وعقدوا اجتماعاً قبل موعد المهرجان مع مئات من رفاقهم الشيوعيين السوريين، ومنهم فوزي إبراهيم، وطه الصواف، وتقرر في هذا الاجتماع توزيع المنشورات والبيانات التي تدعو إلى عصيان أوامر الحكومة، وتحضّ العمال والفلاحين على التمرد، كما تم الاتفاق مع اللجنة الوطنية المسؤولة عن تنظيم الاحتفال على أن يلقي الرفاق مصطفى العريسي، وفؤاد قازان ، وفوزي إبراهيم، وطه الصواف، الكلمات والخطب التي تعبر عن سياسة الحزب ومواقفه. وغداة الاحتفال أحاطت بالضريح قوة كبيرة من الدرك، محاولة تفريق الناس غير أن ذلك لم يَحُل دون تنفيذ الشيوعيين برنامجهم الاحتفالي، فغمرت بيانات الحزب المكان وتلقفتها أيادي الحضور، بينما راح صوت مصطفى ورفاقه يهدر وقد تعاقبوا على إلقاء خطبهم وكلماتهم، فسارعت قوات الدرك إلى إلقاء القبض على خمسة من الشيوعيين اللبنانيين وأحالتهم إلى القضاء، وعلى رأسهم القائد البارز مصطفى العريسي الذي قال لدى استجوابه إنه تم الاتفاق بينه وبين لجنة الاحتفال بذكرى ميسلون على السماح لممثلين عن وفد لبنان بإلقاء الخطب أثناء الاحتفال، فأعلمه النائب العام الفرنسي بأنه يحاكم بتهمة إلقاء خطب مهيجة، تثير الرأي العام على الحكومة والأمن، وبتهمة توجيه الشيوعيين لتوزيع المناشير الحزبية المعادية للفرنسيين. وقد انبرى المحاميان سيف الدين المأمون، وعدنان القوتلي، للدفاع عن المعتقلين، مؤكدين أن ما قاموا به لا يخالف القوانين، ويتفق مع حقوقهم الطبيعية في التعبير عن آرائهم. فبرّأ رئيس المحكمة كلّاً من علي صدر الدين، وعبد العزيز الفاخوري، وسليمان أبو إبراهيم، بينما حكم على مصطفى العريسي وفؤاد قازان بالسجن، وقد امتلك العريسي الشجاعة ورباطة الجأش في جلسة المحاكمة التي انعقدت بتاريخ ٢٩ آب ١٩٣٤ ، فحين سأله القاضي عن اسمه وما الذي قاله في المهرجان قال : أنا مصطفى، أنا عربي من جزيرة العرب، ولي الشرف أن أقول الحقيقة، لقد طالبت الشعب العربي كله الاقتداء بالشهيد يوسف العظمة، وقلت إن الذين يحضرون إلى ميسلون كل عام فريقان: فريق الوطنيين، وفريق العمال، أما الوطنيون فليس باستطاعتهم تحقيق أماني الشعب ولا سبيل للاستقلال إلا بالتعاون الوثيق بينهم وبين العمال والفلاحين. لقد خطبت ضد الاستعمار، والسلطات الفرنسية المحتلة، والحكومات التابعة، والأوضاع الحاضرة، وهذا حقي وواجبي تجاه شعبي ووطني. وحين سأله الرئيس عما إذا كان يعرف الفرنسية، أجاب بأنه يعرفها ولكنه لا يريد أن يتكلم بها، لأنه لا يحب فرنسا الغازية. ولما سأله إذا كان قد هرب حينما أراد الشرطي اعتقاله إثر إلقائه الخطاب! ثار وانفعل وقال: أبداً أنا لم أهرب، والشيوعي لم يعتد أن يهرب. وحين سئل لماذا أصبح شيوعياً أجاب: لأن مبادئ الشيوعية سامية. ولأن الحزب الشيوعي فوق الأحزاب كلها.

ثم جاء دور فؤاد قازان فسأله الرئيس: وأنت ماذا فعلت؟ فأجاب: أنا خطبت ضد الفاشسيت الذين قتلوا الأطفال، والنساء، والشهيد عمر المختار في طرابلس الغرب، وخطبت أيضاً ضد السلطات الاستعمارية، وضد الرأسماليين، وضد من يسرق قوت الشعب، وليثق حضرة الرئيس بأن الشيوعيين ليسوا ضد فرنسا الحرة، بل ضد فرنسا المستعمرة. وقد طلب المدعي العام تشديد العقوبة على هذين المتهمين الخطرين اللذين لا يعجبهما أحد. فردّ فؤاد قازان بقوله: بلى، يعجبنا فقط المذهب الشيوعي، وحين تم النطق بالحكم الذي قضى بحبس كل من المدعى عليهما مدة عامين صرخا بأعلى صوتيهما: هذا حكم فاشستي!

كانت المحاكمة حدثاً مدوياً، تناقلته الأوساط السياسية، وكتبت عنه الصحافة في سورية ولبنان بإسهاب، متحدثة عن مزايا الشيوعيين، وما يتصفون به من نكران للذات، ومن روح رفاقية كفاحية تغمر قلوبهم بمتعة النضال وتوحد جهودهم، وتجسد استعدادهم للتضحية، والتفاني في سبيل حرية بلادهم، وكرامة شعبهم.

ترى، أيحقّ لنا أن ننسى؟ هل يمكن لهذه الصفحات المشرقة من نضال الشيوعيين أن تشحذ الهمم؟ وهل يستطيع شيوعيو اليوم أن ينهضوا ويستعيدوا تلك السمات الأصيلة التي تحلى بها رفاق الأمس؟ لنعِش ونرَ!

سيف الدين القنطار

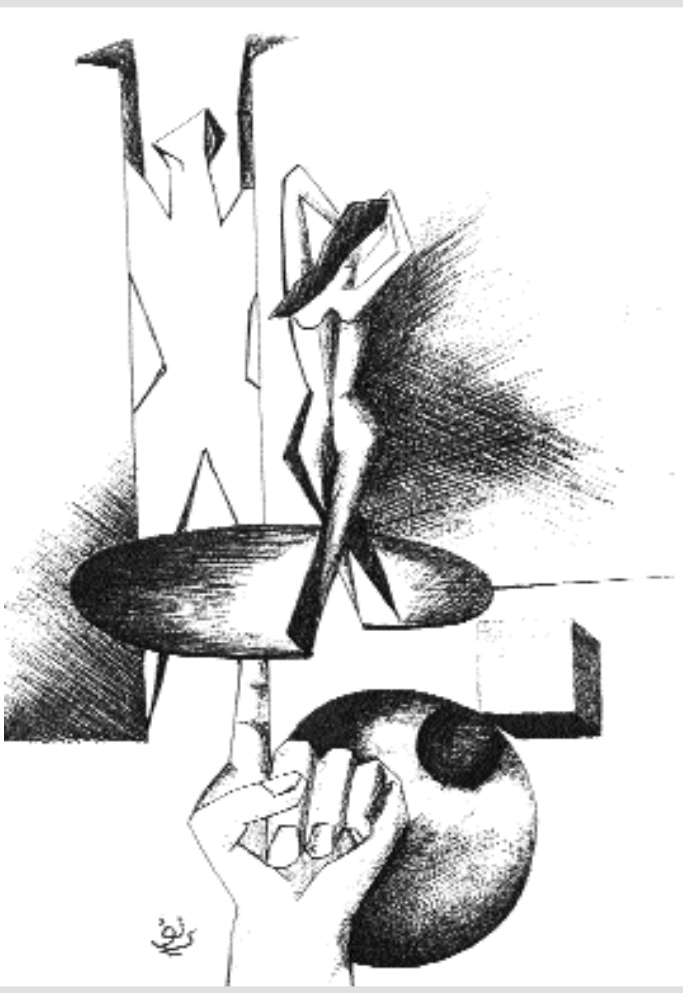

فضاءات ضيقة

د. عاطف البطرس

القيـــامة!
عِبـــر وعِظـــات

■ ولد السيد المسيح بمعجزة مرة واحدة، وتكلم في المهد نافياً التهمة الموجّهة إلى والدته بالجسد، مرة واحدة، وصُلب وقال على خشبة الصليب: يا أبت، اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون! وقام من بين الأموات هازماً الموت منتصراً للحياة مرة واحدة.

لكن يهوذا النادم على فعلته بتسليم سيده مقابل ٣٠ من الفضة، عاقب نفسه بالموت شنقاً.

فهل مات يهوذا؟ أم أنه مازال يولد كل يوم، مرتدياً أقنعة مختلفة وثياباً عصرية تتناسب مع مقتضى الحال، يغوي بابتسامته الخادعة ويوزع قبلاته الكاذبة لقاء حفنات من متاع الدنيا؟

هل لنا من نهاية يهوذا عظة وعبرة؟ وكيف يمكن تجنّب قبلاته؟! والأهم: هل نستطيع استئصال اليهوذية التي تتفاقم في الأزمات عندما تضعف النفوس أمام إغراءات رنين الفضة ولمعان الذهب وخشخشة الدولار؟!

ثمة من يقول مبرراً سقطاته وضعفه: كل شيء قابل للبيع! فكيف يمكن للإنسان أن يبيع وطنه، أو يعمل على تخريبه تحت أي ذريعة أو حجة لا تصمد أمام الحقائق الواضحة الصارخة القائلة: من يبيع وطنه فإنما نفسَه يبيع؟!

تلك حقيقة يهوذا: باع نفسه وعاقبها، لكن موته لا يغفر له هفوته الكبرى.

سمعان (بطرس) صياد السمك، قال له المعلم: اترك صيد السمك واتبعني، سأجعلك صياداً للناس! وبالفعل أصبح بطرس من أقرب تلاميذه إليه، وقد قال له: أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي.

لكن بطرس، وكما قال له معلمه: يا بطرس، ستنكرني ثلاث مرات قبل صياح الديك! وبالفعل أنكر بطرس الصخرة سيده، لكنه بقي مخلصاً له مؤمناً بقيمه، هو الذي، فيما بعد، لاقى مصيره مثل معلّمه: مصلوباً، ولكن، على صليب مقلوب (رأسه إلى الأسفل)، وقد ساهم بنشر قيم المسيحية في قلب روما.

أخطأ بطرس، لكن سقطته لاقت تسامحاً وسماحة من معلمه، المعلم الذي غفر أخطاء أعدائه.

المقارنة بين خطأ بطرس وخطيئة يهوذا، لا تقوم على علاقة مابين واقعتين، لكن العبرة واحدة: تسامح المعلم وقدرته على المغفرة.

تابع بطرس طريق معلّمه إيماناً بالمبادئ وإعلاءً للقيم، وانتهى يهوذا ملعوناً إلى يوم القيامة مثالاً على الخيانة والضعف والخسّة.

الإيمان أياً كان شكله هو حجر الزاوية في المواجهات والصمود أمام الإغراءات المادية والمعنوية.

بلا قوة داخلية إيمانية تعزّز وتقوّي لا يمكن لأصحاب الأفكار الإنسانية النيّرة أن يصمدوا في معاركهم، وفي التحديات التي تواجههم في زمن تتعاظم فيه الإغراءات، التي في النهاية ليست أكثر من خيوط حريرية وذهبية أحياناً تلتف حول رقاب قابضيها.

فلنعزّز إيماننا ولندعم صمودنا، متسلّحين بالفكر العلمي وبمنهجية تساعدنا على فهم الواقع الذي نعيشه، الواقع المعقد المتداخل الذي صدّر أزمة خانقة، تحولت إلى محنة مؤلمة دفع ثمنها الشعب السوري أنهاراً من دماء أبنائه.

الإيمان بالنصر هو الطريق المؤدية إليه، والسلوك في الطريق يقتضي معرفة منعرجاته، وقد تداخلت وتشعبت إلى حد التيه، لكن أصحاب البصيرة قادرون على الفرز ومواجهة التحديات، منطلقين من ثقتهم بأن بلادهم قد أصبحت حاضنة لولادة عالم جديد، عالم متعدد الأقطاب.

atef.albbo71@gmail.com

الثقـــافة المهـــزومة دائمـــاً

■ في مجتمعاتنا التي تعاني من الضبابية وعدم الوضوح والموارية وكثرة الأقنعة المزيفة لدرجة المرض في الكثير من المفاهيم الأساسية، وخاصة في الدين والسياسة، وفي الأمور الإدارية والتنفيذية للسلطات بأنواعها، كلنا نتمنى أن تكون الحالة الثقافية وما يندرج ضمن إطارها من فكر وآداب وفنون شاهدة حقيقة على الواقع، تعمل على إظهاره بما يكون فعلاً دون انحياز إلى المجاملة والمحاباة والتأييد لمراكز القوى التي نخشى مواجهتها، وأن تكون في الوقت نفسه غير منحازة لرفض هذا الواقع لمجرد الرفض فقط، دون سبب مقنع ، ودون مبررات حقيقية.

المطلوب من المُفكّر أن يكون شاهداً على عصره بشكل محايد ومنطقي، وبكل مصداقية وموثوقية، ولكن المشكلة هي أنّ هذا المفكرُ بينما يكون منهمكاً في إعداد فكرته التي تراوده ذهنياً لنقلها إلى الورق أو المنابر أو أجهزة الإعلام، سرعان ما يصطدم أولاً بموضوع الشأن السياسي للسلطة الذي لا يستطيع أن يتجاوز خطوطه الحمراء، خشية أن يحرك عليه عش الدبابير، أو يصطدم بالشأن الديني وتقاليده الموروثة اجتماعياً، وهو لا يستطيع أن يناقضه أيضاً، خشية أن يلامس بيوت العناكب المزمنة في زوايا العقول فتلدغه، لذلك يعجز هذا المفكرُ أن يكون شاهداً صادقاً دون أن يستعمل طريقة اللف والدوران حول الفكرة، فتبقى إنجازاته مبهمة ضبابية، تحتمل التفسير والتأويل من قِبَل المتلقي، وتبقى الحقيقة ضَائعةَ والشاهد لم يحضرْ بعد.

علاقة السياسة بالفكر، وعلاقة الدين بالفكر، هي علاقة متوترة دائماً، علاقة مراوغة واختباء خلف الممنوع والمسموح، علاقة تأجيل الفكرة التي تراود المفكر، وبدلاً منها إظهار فكرة أخرى أقل حساسية وأقل مواجهة ومجابهة، ومن هنا سيبقى المفكرُ سلبياً، يدلي المفكرُ بفكرته ثم يذهب للاختباء في صومعة بعيدة كما في الفلسفة البوهيمية، وكل أجناس الآداب والفنون هي أفعال سلبية، وإن كانت تدعو إلى التمرد على الواقع وتدعو إلى تغييره، فهي سلبية لأنها ليس لها قوة التغيير فعلاً، وتبقى ضمن إطار الدعوات والنداءات فقط، وتبقى مهزومة في صراعها ضد القوى المسيطرة دينياً وسياسياً، والعادات والتقاليد، وعلى سبيل المثال كم ظهرت من دعوات وأفكار من المفكرين القوميين منذ أكثر من قرن من الزمان وما تزال مستمرة، كدعوات النهوض بالقومية العربية ودعوات للتطور والتقدم ومواجهة التخلف العربي، ولكن تلك الأفكار والدعوات لم تستطع تغيير أي شيء من الواقع رغم مرور زمن طويل عليها.

بالتأكيد يستطيعُ المفكرُ الحقيقي ذو الثقافة الصحيحة أن ينتقد السلوكيات الاجتماعية والسياسية والدينية، عندما يكون مدركاً فعلا للأخطاء الموجودة في هذه السلوكيات، وعلى معرفة حقيقية بها، حتى وربما تكون لديه المقدرة على وضع الحلول المناسبة للتصويب، ولكن يا للأسف ستبقى أفكاره بلا تأثير، لأن هناك قوى تدير هذه السلوكيات لا يستطيع مواجهتها، ويبقى ضعيفاً أمامها، وهذا الصراع مستمرٌ بين تلك الجهات القوية التي تفرض نفسها، والفكر والأفكار التي تنادي بالتغيير والتنوير نحو السلوك الصحيح.

في محاولة التعبير عن مجريات الأمر التي تحدث، يوجد نوعان من النتاج الثقافي، نوعٌ يعيش تحت جناح السلطة يصفقُ تأييداً لكل شيء، ونوع يعيش خارج هذا الجناح يشتمُ معارضاً كل شيء، فلا يوجد نتاجٌ وسطي يعارضُ الخطأ ويصفقُ للصحيح في الوقت نفسه، ومن يعتبر نفسه وسطياً لا بد أن تكون معاييره منحازة إلى أحد النوعين، إن كان يدري، وإن كان لا يدري، وكل هذا سيجعل الثقافة بمنتجاتها المتعددة بعيدة في أن تكون شاهداً حقيقياً على العصر، وتبقى الحقيقة ضائعة دون توثيق، مع أنها موجودة فعلاً في ذاكرة الأغلبية، دون إظهارها علناً، وتصير الثقافة فعلاً مراوغاً موارباً منتقاة ومغربلة لصالح اتجاه معيَّن، أو تصير كسلعة مادية قابلة للبيع والشراء لمن يدفع سعراً أعلى من أولياء الشأن.

عندما يريد المفكرُ رسم الصورة الحقيقية للواقع، فإنه سيستخدم المحاة أكثر مما سيستعمل القلم، فيمحو شيئاً من هنا، وشيئاً من هناك، مما يتعلق بالمحظورات، لأن أغلب أجهزة الإعلام أو دور الطباعة والنشر والصحف والمجلات، وحتى وسائل النشر الإلكتروني، تشترط على من سيتعامل معها على عدم الولوج في أشياء كثيرة، لذلك لا يمكن رسم صورة صحيحة للواقع، وتبقى أي صورة ناقصة، وربما سيُقالُ في النقد بعد ذلك إنّ هذا المفكر لا يقترب من المصداقية، وينكرون الممنوعات التي عرقلتهُ في إظهار الحقيقة.

كل مفكر يتمنى أن يستخدم المرآة الصافية العاكسة التي تُظهرُ للمتلقي الأمور على حقيقتها كما يجولُ في فكره تماماً، إنما دائماً هناك من يمنعهُ بشتى الأساليب، ويفرضُ عليه أن يعكس المرآة لبعض الزوايا الضبابية المبهمة من الواقع، أو باستخدامها في الأماكن المعدة مسبقاً، والمبالغ في تشذيبها وتهذيبها، فتظهر صورة المديح والثناء والتأييد لواقع فاسد، بينما يبقى الفساد غير ظاهر في القسم المظلم من الصورة التي لا يسمح أولياء الأمور بإضاءتها أكثر من حدود معينة.

هذا هو المفكرُ، وهذا هو الفكرُ المهزوم دائماً.

خضر الماغوط

كـــان الحـــمام يطيـــر محترقـــاً

نهضت قطعة طباشير في الصف، وقفت أمام الكرسي، قالت: سأغدو معلماً، رفع كرسي يده، سأل: عمَّ يتحدث درسنا؟ حكّتْ قطعة الطباشير رأسها بالسبورة، تساقطت أحرف بيضاء، تجمعت، ثمَّ هتفت: عاش الحمام، عاشت الأنهار، عاشت القطط، عاشت الأشجار، عاشت أختي وأخي، ولتسقط الدبابة!

(الشاعر شيركو بيكه سه)

(١)

يجوز أن تختلف الأديان في طرق العبادة، ويجوز أن تختلف الصلوات من مذهب إلى آخر، ويجوز أن تتناقض أشكال الإيمان من كتاب إلى آخر، ويجوز الاختلاف بين القرآن والإنجيل والتوراة اسماً وكتاباً واعتناقاً. لكن المقدسات تتساوى في جميع الأديان من حيث قيمتها ومكانتها المقدسة. ففي كل حروب العالم، الضارية والوحشية، العادلة والظالمة، القديمة والحديثة، ظلَّ نور دور العبادة أقوى من شرارة القذيفة، وطغى وهج الإيمان في المقدسات على ألوان الحروب القاتمة. كانت تقوم القيامة إذا ما انتهكت حرمة دار عبادة. حتى في زمن الكفار والوثنيين أُحترمت بيوت الدين على اختلاف أنماطها. فأنت ترى إلى اليوم في المدن الأثرية المنسية في الشمال السوري صروحاً وثنية قائمة ما تزال من آلاف السنين، وإن زال البعض منها، فقد بقيت قيمها حيَّة في قلوب الناس. فأهل الإيمان من كل الملل والنحل كانوا يشعلون الشموع للتكفير عن ذنوب ما، أو لتحقيق أمنية، ويمشون حفاة إذا ما تحقق النذر، ويوزعون الخبز على الفقراء والمساكين وأهل السبيل إذا نزلت بهم نازلة. وكانوا من خلال هذه الأشياء الرقيقة البسيطة الناعمة والعميقة يستثيرون الهمم كي تكون حياة الإنسان في هذه الدُّنيا أكثر عدلاً، وأوفر سلاماً، وأقرب رشداً. ولكن الإنسان هو الإنسان، يهتدي ويضلّ، ويسعد ويشقى، ويصيب ويخطئ، وإنْ أسوأ فكرة خطرت للإنسان: أن يكون بطلاً في الحروب، وهناك ألف مكان آخر يمكن أن يكون فيها بطلاً حقيقياً. ما لون هذه النازلة التي ابتليت بها بلدنا؟ وأين هي الشريعة التي أوصت بما حدث ويحدث وسوف يحدث؟ ما هو الكتاب المقدَّس الذي تنبأ بما حصل ويحصل وسوف يحصل؟ ماذا سيكتب التاريخ عنّا؟ يا كاتب التاريخ ترفق بنا فنحن عُصاة. كنائس ومساجد شملتها الحرب، وجنَّ الرصاص في أرجائها، فكان الناس يُذبحون على أبوابها، وكان الحمام يطير محترقاً في سماء صحونها. سكت صوت الجرس والمئذنة، وعلا صوت الكفر في بيوت الدين.

(٢)

انظر بعينيك إلى ما أصاب المسجد الأموي في حلب، وما أصابه؟ وتسأل ما أصابه؟ لم يخلق الله وحوشاً كالبشر، ولم يخلق البشر وحوشاً كالحروب، فقد ناهز عمر هذا المسجد أكثر من ألف ومئتي عام. ومرَّت على أبوابه محن شداد، فأحجاره تحكي تاريخ المدينة، ومع تلك القامة الشامخة فتك الوحوش بأحجاره. بماذا كان يفكر سليمان بن عبد الملك حين بناه، وتأنق في بنائه؟ هل ليضاهي ما عمله أخوه الوليد في الجامع الأموي في دمشق؟ فإذا عرفنا أن المسجد الأموي الكبير في دمشق قد تم العمل فيه سنة ٩٦من الهجرة، قدَّرنا أن مسجد حلب قد بُني في نهاية القرن الأول، أو في السنوات الأولى من القرن الثاني الهجري. يُحكى بأن منارته كانت أجمل منارة في مدينة حلب، كانت؟ نعم كانت، فقد بناها أبو الحسن محمد بن يحيى الخشاب قاضي المدينة سنة ١٠٩٠ ميلادية. كتبت ليلى السيد وهي من أهل حلب الشهباء عن منارة الجامع الأموي تقول: ترتفع مئذنة الجامع الأموي الكبير في وسط مدينة حلب القديمة، وتتوضع في الركن الشمالي الغربي من صحن الجامع، وتقع على قاعدة مربعة الشكل، طول ضلعها خمسة أمتار تنقص سنتيمترات، ويبلغ ارتفاعها ٤٥ متراً، وتضم سلماً حجرياً يتكون من ١٧٤ درجة، وتحيط ببدنها الباسق أربعة أدوار من الكتابة الكوفية البديعة، تقسمه بعد ركن القاعدة إلى أربعة أقسام متساوية، يزدان القسمان العلويان منها بحنيات زخرفية، ويتخلل كل حنية منها نافذة مدورة أو مربعة، وينتهي القسم الرابع أعلى الأقسام جميعها بدورين يشكلان بروزاً عن مستوى البدن لتكون عليه شرفات المؤذن، وتكون قاعدة الجوسق الذي يحمل قوس المئذنة. نعم، مرت أيام عصيبة على هذا المسجد، بل قُل كوارث، فقد نقض بنو العباس ما كان فيه من الزخارف والآلات، ونقلوها إلى جامع الأنبار في العراق، ثم أحرقه الرومان حين دخلوا حلب سنة ٣١٥ من الهجرة، ثم أُحرق مرة ثانية في زمن نور الدين زنكي، وأحرقه التتار أيضاً سنة ٦٥٨ من الهجرة. وكان الفضل في إعادة بنائه في هذه المرات إلى سيف الدولة الحمداني صاحب حلب، وابنه أبي المعالي، وإلى نور الدين زنكي الذي زاد فيه من الجهة الشرقية حين ضم إليه سوق البزر وجعله أقرب إلى التربيع، وإلى الملك الظاهر، والملك المنصور قلاوون وفيه تجديدات تمت في العهد العثماني، وفي أوائل القرن العشرين. وكذلك تم تجديد الباب الشمالي والواجهة الشمالية الخارجية وأقيمت أمامه حديقة واسعة في أواخر عام ١٩٥٣. وكانت آخر أعمال الترميم في المئذنة عام٢٠١٠ التي كانت أجمل منارات حلب . وتلفّت التاريخ لي باكياً، فقلت: يا كاتب التاريخ مهلاً، الكل مروا من هنا، الكافر والمؤمن، الظالم والعادل، الفقير والغني، ورغم تتابع النكبات يجد الحمام دربه دائماً ليحط على ما تبقى من أحجار المسجد الأموي في حلب.

عبد الرزاق دحنون

الفن... نبض التاريخ والحضارات

■ منذ أن وعى الإنسان وجوده في الحياة، وقبل أن يعي آلية النطق والكلام، اتخذ من الخطوط والإشارات والرموز وسيلة للتعبير عمّا يُفكّر فيه تجاه محيط وجوده، فكانت جدران الكهوف والمغاور بدايةً أداته الوحيدة، ثم شكّلت الرُّقُمْ والقطع الطينية لوحات خلّدت ذلك الوجود بمختلف أنشطته عبر التاريخ السابق لطقوس المعابد التي كانت تعبيراً راقياً عن علاقة الروح والجسد بآلهة متخيَّلة ومجهولة.

ومع استمرار الحياة، وتفتح وعي الإنسان على فضاءات أخرى أكثر تعقيداً في علاقته بالطبيعة والمجتمعات والحياة، أصبح الفن أكثر حضوراً وفاعلية وتأثيراً لا يقلُّ عن تأثير الأديان والسياسة في خيارات واتجاهات الأنشطة الإنسانية متعددة الاتجاهات، كما لعب الفن دور المؤرّخ الرمزي أو المباشر في مختلف الحضارات المتعاقبة حتى بتنا اليوم نعرف كل حقبة تاريخية من خلال ما خلّفه الفن في العمارة أو الآداب المتنوّعة.

وهنا نتلمّس الدور الهام والحسّاس لمختلف أنواع الفنون وتأثيرها في الرأي العام من خلال ما تبثُّه وتبتغيه، خاصة أننا في زمن الانتشار السريع على مختلف وسائل التواصل، ولا أدلَّ على ذلك من الحرب السورية التي استأثرت باهتمام الرأي العام العالمي والمحلي من خلال ما نُشر من صور ومعارض وأعمال تلفزيونية وسينمائية ألقت جميعها الضوء على تلك الحرب التي التهمت نيرانها كل مقومات الحضارة والإنسانية والعيش بكرامة تليق بالسوريين على مختلف انتماءاتهم واتجاهاتهم واختلاف رؤاهم.

لقد لعبت مختلف الأعمال التي تناولت تلك الحرب دوراً مؤثِّراً، في الرأي العام المحلي في الشارع السوري أو الإقليمي أو العالمي، وإن كان هذا التأثير باتجاهين متنافرين ما بين موالاة ومعارضة، كما أرّخت بعض الأعمال لتلك الحرب بما احتوته من رؤىً متنوعة. لذا لا يمكننا تجاهل أهمية وجود الفنون جميعها في حياة الإنسان والمجتمع.

إيمان أحمد ونوس

الفنـــان مـــرآة الواقـــع

■ في الحروب والأزمـــات يكـــون السـلاح لغـة الحوار، ونلاحظ انتشاره العشوائي فلا يقتصر على الجنود فقط. لكن ألا يوجد سلاح آخر يمكن لنا أن نواجـه بـه العـنـف والعـزلـة والتكفير والجهل والتخلف؟ حتماً، هناك الكلمة المعبرة خير سلاح، لاسيما حين تخرج من الشخص المناسب وبالمكان المناسب، تخرج بأغنية، وعلى مسرح، وبدراما تسلّط الضوء على الواقع، فكثيراً ما كانت الكلمة سلاحاً بوجه المحتل منذ العثمانيين إلى زمننا هذا.

لقد صدّرت فلسطين للعالم نخبة من الفنانين كانوا شوكة في حلق المحتل، منهم من اعتقل وسجن، ومنهم من حارب بالفن، كما ثار الكثير من الفنانين على أنظمة حكم مستبدة سواء في البلاد العربية أم في غيرها، وكانت ثورتهم بالكلمة الحرة ناراً أحرقت كيان المستبد، وأشدُّ وقعاً من السلاح، فالكواكبي لم يرحم جلاديه عند ما كتب (طبائع الاستبداد)، الذي ما زال حتى يومنا هذا يُجسد واقعاً أليماً فرضه علينا الطغاة، فكم لاحقت السلطات العثمانية هذا الرجل لأن كتاباته أيقظت الناس على بطش المستبد وحركت بداخلهم الثورة على جلادهم. ولا ننسى ابن رشد وابن خلدون وحربهم على المستبد تحت شعار (من تمنطق فقد تزندق). وكم من فنان (مغنٍّ أو ممثل أو راقص تعبيري) وكاتب وشاعر وصحفي وناقد جسّد الظلم في أعماله، وأظهر بشاعته، وكان لتلك الأعمال صدىً أشدُّ وقعاً على رؤوس المستبدين من نار البارود.

ولا تغيب عنّا اليوم حرب السبع سنوات في بلدي الحبيب، التي أطاحت بنا جميعاً، بقوة فكر تكفيري جاءنا من الخارج حاملاً سمَّ الفتنة بما لم يرحم فناناً ولا شاعراً ولا حتى مبدعاً ولا مخترعاً حين قام قادته بإقامة الحدّ على كل من أبدع بالعلم واللحن والكلمة والشخصية المجسدة لعمل ما لتجعله عبرة لغيره. كم حُطمت آلات موسيقية على رؤوس أصحابها وكُسرت أنامل كانت تخط الحزن على وتر، وكم دُمرت مسارح تحت شعار محاربة البدع، حتى من الجانب الآخر كم مَن فنان غيّبه الموت بأقبية الظلام لمجرد أنه مثل الظلم على أرض الواقع أمام المستضعفين؟ لم ترحم الحروب أصحاب الحس المرهف والكلمة الحرة والرأي الحر. لم ترحم الفن والإبداع، ولم ترحم الفكر واللحن لأنهم أقوى من الطلقة، وأشدّ وقعاً على فكرنا وفكر الطاغي من السلاح، لذا نلاحظ أن الفنانين وغيرهم من رواد العلم والفن أكثر الأشخاص عرضة للمساءلة والملاحقة من قبل السلطات المُستبدة والمحتل لأنهم أصحاب فكر ينير العقول ليجلو الظلام والظلم أمام الشعوب لتخرج إلى النور بفكر حر وعقل متحرر يرفض القهر والظلم والتخلف، لأنه يريد أن يعيش حراً كريماً مُرداداً أمام جلاده متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!؟

وعد حسون نصر

صـــوت الحيـــاة الخـــافت

■ وهل تستطيع لوحة عزلاء إلاّ من ألوان الحياة فيها أن تكبح جماح رصاصة عمياء؟

هل تستطيع قصيدة، كلُّ ما فيها مجازُها العالي وتحليقها في المخيّلة واللغة، أن تثني قاتلاً عن جريمته؟

هل تستطيع قصة، رواية، فيلم، مسرحية، مسلسل...الخ أن تتحول إلى (قوات فصل) بين متحاربين نسوا أن (على هذه الأرض ما يستحق الحياة)، وصار الموت ميدانهم الأوحد؟!

الفن بدأ استجابة فطرية من الإنسان الأول للجمال الذي يحيط به، بدءاً من جمال الجسد إلى الكائنات الأخرى والطبيعة، الجمال الذي يتجاوز كونه أمراً نافلاً ورفاهية زائدة ومتعة فائضة، بل هو ما يجعلنا نستمر في الحياة أيضاً، ما يمدنا بأسباب العيش، فجمال الشجرة ليس فقط في خضرتها وزهورها والجو اللطيف الذي تخلقه بوجودها فحسب، وهي أمور رائعة وضرورية طبعاً، بل هو أيضاً في الثمار التي تجعل الإنسان يعقد صفقة أبدية معها، تستمر به ويستمر بها. كذلك الماء، هل هي مصادفة أن يكون الماء مقدساً؟ إنه أسُّ الحياة الأول، وفيه من الجماليات ما عجزت كل الفنون والآداب عن حصرها حتى الآن رغم ما تحفل به اللوحات والقصائد والروايات والأفلام من صور ساحرة للماء.

لكن، هل جمالية الماء تأتي سوى من كونه هو الحياة وبغيابه تغيب الحياة عن كوكبنا الصغير؟ ويمكن قياس كل مواضيع الفن والإبداع عامة بما ذكرناه آنفاً، الفن ليس صورة فوتوغرافية للواقع طبعاً، هو ينبش اللامرئي في المرئي، يكتشف في صحراء قاحلة آيات جمال، يُميط اللثام عن مكامن جمال لا يُحَدّ في امرأة (بشعة) بمقاييس لجان اختيار ملكات الجمال والعرف الشعبي، وحقيقة لا توجد امرأة بشعة كما لا يوجد إنسان بشع طبعاً.

الحروب هي عدوة الحياة والجمال والإبداع، إذ لا توجد حرب جيدة، فكل الحروب سواء في قتل الحياة بكل تجلياتها من بشر وحيوانات وشجر وعمران.

حتى تلك الحروب التي تنتصف بالوطنية والقومية هي حروب سوداء لا بقعة بيضاء فيها، لكن الفرق هنا يكمن بين إنسان أو مجموعات بشرية تدافع عن وجودها وأرضها وحياتها وحريتها في وجه قوى غاشمة مستبدة تريد سلبها منها، فتدخل في حرب لا تريدها ولا تراها حلاً لمشكلة، وتلك القوى الغاشمة التي تريد استمرار الحروب لأسباب عدة، منها تلبية رغبتها في قضم حقوق الآخرين وثرواتهم، وتشغيل اقتصادها بآليات النهب والسيطرة وغيرها من الأسباب.

الحرب سيئة بالمطلق رغم وجود حروب دفاعية و(عادلة)، لكنها في المحصلة عدوة الحياة.

في الحرب السورية التي يمكن تقديمها نموذجاً للحروب الداخلية العبثية، الحروب التي تعود إلى شهوة السلطة والجاه لدى فريقين يريدان الاستئثار ببلد يمكن أن يكون للجميع ومن أجل الجميع، فريقان مُدجّجان بأسلحة فتّاكة وإيديولوجيات أشدُّ فتكاً تجرُّ معها قطعاناً هائلة من الناس، وأشدد على كلمة قطعان، لأن من يذهب إلى حرب لا رابح ولا منتصر فيها سوى الخراب جرياً وراء عمامة أو شعار إيديولوجي هو فرد في قطيع أعمى.

في هذه الحرب لا يمكن للفن أن يجاري حجم الخراب والموت في الأرواح والعمران، لذلك لم ينتج عمل فني يصورها، سوى في محاولات خجولة ومرتبكة وخائفة من سيف العقاب إن هي تضمّنت ولو تلميحاً إلى أي طرف فيها.

أعتقد أن الفترة التي ستلي الحرب التي نتمنى أن تنتهي قريباً، ستكون فترة نضج الأعمال الفنية التي ستؤرخ لها لتكون درساً للأجيال القادمة في سورية والعالم: إنك إن (خسرت) سلماً أفضل بكثير من أن (تربح) حرباً. فأي تنازل تقدمه بلا حرب يمكن تعويضه واستعادته لاحقاً بالعمل السلمي، فالحرب خسارة الجميع.

حسين خليفة

الفـــن هو الـــدواء

■ يعدّ الفن إحدى الطُّرق لإيصال فكرٍ معين أو رسالة ما إلى المجتمع ككلّ بمختلف فئاته وأطيافه، بحيث يتلقى هذا الأخير ما يناسبه ويتوافق مع منظومة تفكيره ومستوى وعيه، ومن هنا نجد التنوُّع والغنى في أنواع الفنون وأشكالها التي ساهمت على مرّ العصور في بلورة المفاهيم والرُّؤى سواء الاجتماعية أو السِّياسية أو غيرها، ولاحقاً وبناءً على مدى تأثير هذه الفنون، إما أن تترسخ بعض المفاهيم، أو يتراجع بعضها الآخر أو يُلغى، ما يساهم في تطوير المجتمع كبنيةٍ متكاملة.

والفن السُّوري خاصَّةً شهد تطوُّراً لافتاً في شتَّى مناحيه المرئية أو المسموعة أو المقروءة أو.... إلخ، فقد تناول موضوعات كانت، في فترةٍ من الفترات، من المحرَّمات، وقارب وجهات نظر العديد من فئات المجتمع، كما أنه وكشكل طبيعيٍّ قد لاقى انتقادات مختلفة ممَّن لم يَتوافق مع رؤاهم أيضاً. إلاّ أن كل ذلك ساهم في تطويره وتغيير النَّمطية التي كانت سائدةً على مدى سنوات طوال، إلى أن جاءت الحرب الشَّعواء التي لا نزال نحياها، فتوجَّهت أصناف الفنون لمناقشة ما يجري وتسليط الضَّوء على بعض الجوانب وإبداء الرَّأي قدر المستطاع أو المسموح به، متجاوزةً في بعضها الآخر الحدود الموضوعة لها، فكانت عاملاً مهمّاً في مقاومة آلة الموت اليومي ومناضلةً في سبيل استمرارية الحياة رغم كل الدَّمار والانهيارات الحاصلة، والأمثلة على ذلك كثيرة، سواء على صعيد الفن المرئي كالدراما أو السِّينما أو المسرح، أو على صعيد النَّشاطات التي ينظِّمها شبَّانٌ وشابَّات مؤمنون بقدرة الإنسان على الحياة ورغبةً منهم في العيش والإمساك بشعاع الشَّمس، فكانت النَّوادي الثَّقافية أو الموسيقية مكمّلةً دور الجهات الحكومية كالمراكز الثَّقافية وغيرها، إضافةً إلى النَّشاطات الموجَّهة للأطفال- جيل الحرب- من مسرح وموسيقا ورقص وغناء.

يُضاف إلى ذلك تمكُّن العديد من السُّوريين من الحصول على جوائز عالمية أو إقليمية تقديراً لجهودهم ولنتاجهم الفني رغم الإمكانيات الضَّيِّقة بحكم الحرب التي لا نستطيع إغفال آثارها على هذا الجانب من الحياة، ولعلَّ أهمُّها الشِّقاق الذي حصل بين الفنانين بين مؤيد ومعارض ما ساهم في ضعف مسيرة النَّقدُّم الفني ببعض المحطَّات، إلاّ أن قليلاً من الوعي وكثيراً من الرَّغبة بمزيد من النَّجاح لما يُسمى الفن السُّوري عامَّةً سيعمل على تلافي نقاط الضَّعف تلك، وهذا ما نأمله في المرحلة اللاحقة.

فكما لكل داء دواء، فإن للفن آثاره الشَّافية من بعض أوجاعنا كسوريين يرغبون بتوق لحياة أفضل وأسمى، ولهذا فإني أجد أن الكَفَّة الرَّاجحة ستكون للفن في مواجهته للحرب وكوارثها وليس العكس.

إيناس ونوس

قرصٌ مُذاب

■ بين تلك الرفوف العتيقة في مكتبة منزلية صغيرة قد تجد التاريخ يُرخي كل هيكله، والمعارك مازال يُسمع صوت سيوفها وتُشم رائحة الدماء في القصائد أو الروايات، وربما تقطع الواقعيّة شريان الحياة في عروقك بمشهد على الشاشة الكبيرة.

الفكرة تكمن بكون الآداب خصوصاً والفن بكل أشكاله وتجلياته عموماً الآلة التي تعمل على (نسخ) الواقع إما لتؤرخ وتسجل، أو بطريقة غير مباشرة عندما يستشف الفنان مادته من صميم روحه فتظهر بشكل معين تفوح منها روائح الحرب العالقة في صدره، وربما يكسرنا سطر نسجه على صرخة سجين يُجلد!

هنا، نجد أن الفنون هي مرآة الواقع، لكن هل تستطيع هذه المرآة عكس الصورة فقط؟ أم تستطيع قيادة الفكر والإمساك بزمام المستوى الفكري والثقافي إلى حدٍّ معين؟!

المعطيات الحقيقية التي سبق لها أن أشارت يوماً إلى كون الفن من السبل المُتبعة في تصوير الكوارث والنكبات وحتى الحرب والظواهر المجتمعية يمكن استخدامه كوسيلة توعية لمخاطر معينة أو ربما يكون الأداة غير المباشرة للتحريض، فهو كقرص دواء مُذاب في كأس لن يشعر به أحد ولكن النتائج ستظهر لاحقاً، وهذا شيء جيد إن كانت الغاية سامية حقيقية والهدف يصب في المصلحة العامة.

كذلك يمكن أن نزيح ستائر الجهل والتخلف من خلال رصده والحديث عنه ورسم سبل الخلاص.

المشكلة أن أهمية الفن والفنون وقيمة الفنان كلها أشياء باتت معروفة ومستخدمة ربما، لكن اليوم لو وجّهنا المجهر إلى واقعنا فهل سنرى أن الفن كان قادراً على قول كلمة الحق والسعي للخلاص مما نحن فيه؟

في الحقيقة إن البذرة لقيام فنون تؤدي رسالتها بكل إخلاص موجودة، لكن الشيء الأهم الذي أراه في الواقع هو سوط نار سيشوي الفنان ويحرق أنفاس الفن الصاعدة منه!!

من المفروض اليوم أن يكون الفن حيادياً غير مُسيس أو مُوجه له رسالة واضحة، لكن واقعنا يحكي غير هذا، فحتى اليوم لم نصل إلى فكرة التصالح مع الواقع والحديث بشكل شفاف عمّا نحن فيه.

لا شك أنه مفروض على الفن نقل الواقع وتشكيله بالطريقة المناسبة، لكن لا أرى أن رسالته اليوم صادقة حقيقية بل إنها مزخرفة تنقل أفكار معينة، وإن فكّرنا للحظة بالحديث الواقعي نُخفيه خلف ألف ستار.

والمشكلة ليست مع طرف، فكل الأكف تستطيع الوصول وبتر الرقاب حتى لو كان الموضوع غير السياسة نحتاج لغربال فني.

بالنهاية، عندنا فن ومواهب ومادة طبيعية غنية نستعين فيها لبناء الغد المنتظر، لكن نحتاج إلى تلك الشفافية والضمير المفقود في مختلف مجالات حياتنا.

غزل حسين المصطفى

الفن العربي بين الدور الرسولي والدور الجمالي الترفيهي

■ تنقسم الأعمال الفنية بطبيعة محتوى العمل الفني إلى أعمال فنية جمالية أو ترفيهية، وأعمال فنية هادفة رسولية، وتقبل بعض أنواع الفنون تضمين المعاني والقصدية النضوية الاجتماعية أكثر من غيرها، فمن الرواية أو المسرح هو فن هادف وقادر على أن يحمل قيماً ومعاني أكثر من فن الموسيقا، على سبيل المثال. وما الفن إلا منعكس لذات الفنان وتفاعلاتها مع محيطها الطبيعي والاجتماعي ومع الحدث الشخصي وصولاً إلى الحدث المتمتع بأصداء عالمية. ويشكل ازدهار الفنون وكثرة الفنانين المميزين مؤشراً على المستوى الحضاري لأمة ما، بينما تشكل سطحية نسبة كبيرة من الأعمال الفنية ونمطيتها وابتذالها وتكرار محتواها مؤشراً مُقلقاً تجاه المستوى الحضاري لأمة ما، إذ يُشكّل الفنان في كثير من الأحيان الرائي أو النذير الذي يُطلق صرخته عبر الفن لينبّه المجتمع ويحذرهم من كارثة مقبلة أو كارثة تجلّت بوادرها.

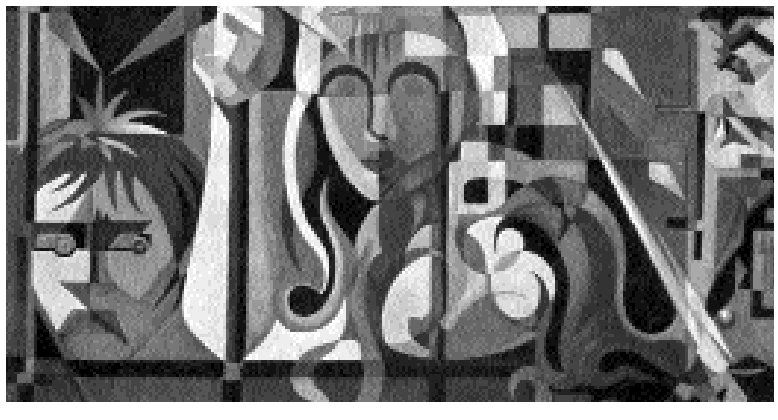

ومع الأسف يبقى تأثير الفنانين العرب في الشارع العربي محدوداً جداً، ويبقى رواد صالات المسرح الهادف ومعارض الفن التشكيلي قلّة قليلة معظمهم من شريحة اجتماعية معينة. وتشكل فنون كالدراما التلفزيونية والسينما عامل التأثير الأكبر بين بقية الفنون، ورغم أن بلداً كسورية مثلاً يُصدّر ممثلين وأعمالاً تلفزيونية إلى العديد من أقطار الوطن العربي إلا أنه لا يزخر بالفنانين والأعمال الفنية بقدر ما يزخر بالمؤدّين، فالفارق بين المؤدي والفنان هو الالتزام بفكر ورسالة، وليس كل من أدى دوراً ما طُلب منه مقابل المال يُسمى فناناً. فالفنان الحقيقي لا يقدم عملاً فنياً ينتصر لقضية معينة ثم يشارك في عمل آخر يدين هذه القضية.

ومن خلال متابعتي للفنون في سورية مازال معظم الكُتّاب والشعراء عالقين بالمذهب الرومانسي، ونلمس العديد من الحالات الشوفينية والدون كيشوتية والسطحية، وقد عززت الأحداث الدموية هذه الحالات، فأعاقت الحرب الفن والوعي لدى الفنانين عن التطور والتقدم، بينما كانت الدراما في العديد من الأعمال التلفزيونية هي الأنجح في نقل معاناة المواطن السوري وكانت المرآة الأنقى لما يعتريه ويعتمل في عقله ووجدانه، بينما انصرف الكثير من السينمائيين والكُتّاب لأداء (المطلوب) لتعزيز الخطاب الإيديولوجي للجهة أو الحزب الذي ينتمي إليه.

إن الفن يمتلك مقدرة على إعاقة الحرب بنسبة ما عبر نشر الوعي وطرح المفارقات التي تجعل المتلقي يتوقف عن الفعل السلبي ويتأمل فيما يفعل. وهناك أفلام تناولت قضايا ومسائل معينة، فساهمت في التعجيل في تعديل القوانين في عدد من البلدان. وإذا أردنا أن نطرح أمثلة من الأفلام العربية فلدينا الأفلام (أريد حلاً، كلمة شرف، جعلوني مجرماً).

لا نستطيع أن ننكر أن الفنون عبر التاريخ شكّلت حاملاً من حوامل المنظومات الإيديولوجية، فالمعابد كلها تحوي أعمالاً فنية تُكرّس عبر سحر الفن الأفكار الماورائية التي تتبناها وتروج لها سواء عبر فن الإنشاد الديني أو التماثيل أو الرقصات والأزياء الخاصة بالطقوس الدينية، كما هو الحال في القارة الإفريقية على سبيل المثال. وخلال الحرب في سورية أُنتجت أعمال فنية سورية وعربية الهدف منها التعبئة وشيطنة الآخر ورفع الحالة المعنوية لفئة ما على حساب أخرى، فهي تستثير مشاعر الغضب بدل التسامح، والرغبة بالانتقام بدل الرغبة بتدارك الأمور ومدّ جسور التواصل والحوار بغية الخروج من دوامات العنف، إلاّ أن الأعمال الفنية التحريضية إن صح التعبير بقيت حالات نادرة.

وختاماً لا يسعنا القول إلاّ أن المنجز الفني عموماً إزاء الحرب في سورية لم يكن على مستوى الحدث، ويتوقع منه المزيد في فترة ما بعد الحرب، في سياق تعرية الظواهر السلبية التي خلفتها الحرب، ومكافحتها، وفي تدوين الحدث وتحصين المجتمع عبر المساهمة في رفع الوعي الجمعي.

سامر منصور

شباب ومجتمع

Youth & Society

الفن والحرب السورية

■ لما كان الفن والفنانين مقياساً لتقدم الأمم وازدهار الحضارات، كانت الحرب زمناً محورياً بالنسبة للفنون، وعلى عكس ما هو شائع في أن أزمنة الحروب تشهد تراجعاً حضارياً وفنياً، يمكن بملاحظة تاريخ الفن الحديث دحض هذا الاعتقاد.

إننا لا نستطيع تخيّل حجم الدمار الحاصل بفعل الحرب والثورة العمياء وكم أنها حرب مخيفة ومرعبة أرهقت النفس الإنسانية بالدرجة الأولى، لكنها لم تضعف النفوس المبدعة والتي جسّدت الحرب عبر سطور الكُتّاب والروائيين والرسامين وغيرهم من رجال الفن.

غير أن الحرب هذه كانت أكثر جدارة بتأجيج الثورة في نفس الفنان الذي يقبع في قارة أخرى، فكيف هي الحال في نفوس الفنانين الموجودين على خط النار من هذه الحرب؟! لذا سنتحدث في هذا السياق عن حرب أثّرت تأثيراً مباشراً في فنون عالمها.

أحد الفنانين الذين كان لهم رأيهم، أكّد أن الفن هو المُتنفس الوحيد لمعاناتهم المفتعلة بسبب الأزمة، ونجاتهم من وحشيتها، فهو ليس هروباً، بل خطوط استحوذت على مضمون رسالة القوة، تأكيداً منهم على مجابهة الموت رغبةً في الحياة.

فلوحة العودة إلى الوطن للفنان (محمد سرور علواني) خيرٌ من ألف دليل على إثبات وجود فكر أصيل يناضل جاهلية الحرب والموت العشوائي.

وأيضاً لن ننسى دور أي مختص في مجال عمله (المسرح، الهندسة، الطب، العلوم..) فالفنان ليس ريشة فقط، بل يمكن أن يكون منخرطاً في مختلف المجالات الفنية الأخرى، فخلال السنوات السبع الماضية كان للفن وجهة نظر مضادة للرصاص والدم، ولم تكن إلا وجهة التمسك بالحياة والتشبث بماهية الأرض، وذلك عبر لوحات الفنانين وآراء الكُتّاب، ذلك أن عبارة (إعادة الإعمار) لم تكن لتغيب عن بال ممثلي الفن بأشكاله المتعددة طوال فترة الأزمة سواء في الرسومات المُشعّة بأمل البقاء والعودة أو في أي عمل إنتاجي آخر.

غزل محمد عائشة

● اغلق تحرير العدد مساء الاثنين ٩/٤/٢٠١٨

مجازر الإبادة والقتل المستورد

■ نعمت سورية عموماً بنسبة عالية من الأمان والاستقرار طوال عقود سبقت آذار ٢٠١١ ولم يخطر حتى في خيال أي مواطن سوري قبل ذلك التاريخ أن وحشية العولمة الأمريكية ستتكشف على أرضنا، مستعيدة تاريخ المجازر الدموي الدخيل على مجتمعنا، الذي لم نعرفه إلا من خلال قصص مروية شفهياً وكتب وثّقت ذلك، لقد كان كابوساً ثقيلاً مشاهدة سفاحين سوريين ونحن في القرن الحادي والعشرين، يذبحون أطفالاً ورجالاً وشيوخاً بالسواطير، ويبقرون بطون نساء حوامل ويقطعون رؤوساً ويتباهون بحملها أمام كاميرات التصوير وهي تقطر دماً، ويرتكبون فنون قتل مروّعة بدمٍ بارد، في طقوس تلاوة الشعارات الدينية.

كنت قد قرأت بصعوبة على أوراق صفراء مهترئة بخطّ جدي بعض أسفار الظلم والعذاب المرّ الذي عاناه أهل قريتنا في رحلة السَّوق إلى الذبح عام ١٩١٤ حين كان الموت يحصد كلّ يوم اثنين أو ثلاثة منهم، بسبب الجوع والإرهاق والمرض والرعب والاضطهاد والاعتداءات على الطريق، قبل نجاة بعضهم من الموت المحتوم. ويروي الكاتب الأرميكي (مايكل أرلن) في كتابه (العبور إلى أرارات) الذي ترجمه والدي عن الإنكليزية عام ١٩٨٦، قصصاً تقشعرّ لها الأبدان عن فظائع الجندرما بحق المدنيين العزل، والكتاب هو اكتشاف الكاتب نفسه لهويّته الأرمنية المجهولة التي يكتشف من خلالها التاريخ المأساوي لأمته المقهورة، ويتضمن الكتاب تعريفاً للإبادة بأنها تعبير عن كراهية عامة تشمل كل إنسان (رجلاً، امرأة، طفلاً) ضمن فئة عرقية معينة، يجرّدها من إنسانيتها. ويعتبر الكاتب الإبادة الأرمينية واحدة من كبرى المجازر المرتكبة ضد الإنسانية، مثل المجازر بحق الأيبوز في نيجيريا، والشيوعيين في إندونيسيا، والهندوس في بنغلاديش، والهنود الحمر في أمريكا، ويتساءل: ما الذي يختلف أن تكون الضحية شُنقت أو قُطع رأسها أو ضربت بالعصا حتى الموت أو ماتت جوعاً أو تعرضت لطرق لا حصر لها من التعذيب الجسدي - ص ٢١٣؟

في الكتاب مئات الوثائق عن آلاف من العمال الأرمن ذُبحوا ورُميت جثثهم في الكهوف، وعن الطرق الشيطانية للتعذيب في جرائم الإبادة التي تشكل جذور ما حدث في المجازر التي شهدتها سورية بعد عام ٢٠١١، منها ما ورد في الصفحة ٥٨ عن كاهن ومعلمين أرمن ألقت الشرطة التركية القبض عليهم عام ١٩١٥ وسلّمتهم للجمهور، رُبط الكاهن إلى كرسيّ، ثم نُتف شعر رأسه ولحيته، ثم قطعت أذناه فأنفه، ثم اقتلعت عيناه، أما المعلمان فقد أدخلوا المسامير في أيديهما وأرجلهما ثم في رأسيهما، واستعرض التقرير الألم الرهيب والزعاق المروع لهؤلاء الضحايا.

تحدث الكاتب عن مئات آلاف الأرمن الذين ساقهم عسكر السلطنة العثمانية إلى الصحراء السورية القاحلة الخالية من أي نوع من أنواع الحياة ليموتوا جوعاً، عدا الذين ذُبحوا ووهبت السلطات العثمانية ممتلكاتهم مجاناً للمهاجرين الأكراد، وفي وثيقة كتبها سويسري مقيم في تركيا مؤرخة في ١٦ تشرين الثاني ١٩١٥ جاء: (وجدنا نحو ثلاثين إلى أربعين ألف أرمني بائسين، شبه أموات ينهارون تحت أثقالهم يسوقهم الجنود للأمام بأخامص بنادقهم وأحياناً بحرابها)، ويتابع: (أسرعت مجموعة من الأطفال الجائعة الباكية ومن النساء، وارتموا عند أقدامنا يطلبون الخبز). ويقول في مقطع آخر: (تجمّدت أرجل كثير من النساء فكانت سوداء تماماً في حالة تدعو للبتر)، وقد تساءل: (كم من الأطفال الأرمن شاهدوا آباءهم يُقتلون أو وقعت عيونهم على أمهاتهم وأخواتهم وهن ينزل بهن التعذيب الوحشي حتى الموت؟).

ومن الجدير بالذكر إشارة الكاتب إلى الصمت الدولي عن المجزرة رغم وصول تقارير السفراء والقناصل عنها إلى عواصم ألمانيا وفرنسا وانكلترا.

وما أشبه الأمس باليوم، منذ أن جاءنا آذار ٢٠١١ المشؤوم قالباً وجه حياتنا الآمنة، وعواصم الغرب والمنظمات الإنسانية تتفرج على أنهار الدم في مجازر قرية حطلة وقبيلة الشعيطات في دير الزور، وخان العسل في حلب، وعدرا في دمشق، وتدمر في حمص، وقلب لوزة في إدلب، والزارة في حماة، ومجزرة الريف الشمالي لمدينة اللاذقية التي وقعت فجر يوم الأحد ٨ آب ٢٠١٣ تحت عنوان غزوة عائشة أم المؤمنين، إذ هاجم آلاف من الإرهابيين من جبهة النصرة وداعش وكتائب أحرار الشام وكتائب نصرة المظلوم وصقور العز وحركة مجاهدي الساحل وغيرها من المجموعات التي تديرها غرفة عمليات أنطاكية الاستخبارية التي تنسق وتقود معارك الإرهابيين في المنطقة، وتضم هذه المجموعات في صفوفها ليبيين وسعوديين وشيشان وأتراكاً وتركستان وسوريين بينهم أبناء جبل الأكراد، مكان حدوث المجزرة بحق المدنيين العزل في قرى صغيرة مسالمة هي أوبين - إنباته - تلا - بيت الشكوحي - بلوطة - استربة - أبو مكة - الحمبوشية - الخربة - وطى عرامو- كروم عرامو - القليعة - بارودة - برمسة - اليادودة البلاطة - الخراطة - الكنفة - خربة الباز.

قام الإرهابيون بإبادة عائلات بكامل أفرادها ذبحاً: أطفالاً صغاراً وصبايا ونساء وشباناً ومسنين وحتى ذوي الإعاقات والقاصرين، وحتى الأجنة انتزعت من بطون الحوامل وهن على قيد الحياة قبل الإقدام على ذبحهن، وذبح أطفال أمام ذويهم، ونهبت البيوت وأحرقت الممتلكات مع عمليات اغتصاب وخطف واحتجاز وتقطيع أطراف بالبلطات وإطلاق نار وإعدامات بالجملة في ساحات القرى المذكورة.

الشاعر طلال سليم من قرية بلوطة الذي فقد أكثر من أربعين فرداً من عائلته، بينهم أبوه و٣ من إخوته وعمته البالغة من العمره٨٥ عاماً وعمّه وأولاده وخاله وأولاده وابنتا أخته، صرّح لجريدة الأخبار اللبنانية بتاريخ ١٤ آذار ٢٠١٤ إن قريته كانت المكان الأكثر أمناً في العالم، ولم نكن نخشى من هجوم جيراننا، فالعلاقات بيننا تاريخية وودودة قبل الهجوم الكبير، وروى أنه كان في دمشق وكانت زوجته وأولاده في القرية أثناء وقوع المجزرة التي أخبرته بحصولها زوجة أخيه، فاتصل بزوجته أربع مرات دون رد، وفي الخامسة فتح الخط فسمع صيحات التكبير مترافقة مع بكاء زوجته وبناته المخطوفات.

وسط صمت دولي مريب استمرت المجزرة أسبوعين من القتل الممنهج على خلفيات مذهبية باستخدام السواطير والحِراب العسكرية والخناجر والسيوف والرصاص أسفرت عن استشهاد ٤٥٠ مدنياً وعدد كبير من الجرحى والمفقودين والمخطوفين. وتبيّن لاحقاً أنه تم التحضير للمجزرة قبل شهرين من حصولها، وأنها موّلت من قبل سلفيين كويتيين.

الصمت الدولي مظهر من مظاهر شريعة الغاب التي فرضتها على العالم العولمة الأمريكية، بعد تفكك المنظومة الشيوعية وازدواجية المعايير في تعامل دول الغرب مع دول العالم الثالث، فالعنف السادي هو النتيجة الأشد وحشية من نتائج تلك العولمة من خلال تحالف قوى الليبرالية المالية الدولية مع التراث الرجعي الوهابي.

وظاهرة العنف المرتبط بالعدوانية الشديدة في استعادتها لروح الوحشية العثمانية التي سبقت اعتماد الشرعية الدولية هي ذروة الردة الثقافية الرجعية التي مولتها قوى المال العالمي الغربية، لعرقلة تطور العقل التقدمي لعصر الأنوار، وهنا يكمن جوهر القضية، فتحول المرء إلى سفاح وحش يقتل أخاه الإنسان بشناعة واستمتاع؟ ليست مسألة ردة فعل على فعل نظام سياسي كما يحلو لبعض مستثمري السياسة والحرب النفسية اختصارها إلى هذا الحيز الضيق من جوانب شاملة متعددة اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية وتاريخية، بل هي في الأساس أوضح تعبير عن طبيعة العولمة المتوحشة التي أيقظت غرائز بائدة لجماعات دينية إقصائية متطرفة كانت في طريقها إلى الاضمحلال الطبيعي في مسار تطور العقل البشري.

إن مشهد إنسان سوري يمضغ قلباً نيئاً بدمه انتزعه بالحربة من صدر إنسان سوري آخر، ويتباهي بفعلته أمام كاميرات الفيديو، ليس مشهداً مألوفاً من تراثنا المجتمعي ولا ينتمي إلى طبيعة شعبنا وثقافتنا، بل هو ممارسة لإيديولوجيا غازية، دخيلة، فالعولمة الأمريكية هي التي سلخت آكل القلب من بيئته الطبيعية وحولته إلى ذئب بشري بانتماء عابر لزمن القيم الإنسانية وللحدود الوطنية، انتماء إلى إيديولوجيات عصابات الإرهاب التي تحمل في جوهرها النزوع العدواني والكراهية والحقد المؤطر في التخطيط والأهداف وخلق الحماس للممارسة والتنفيذ، مبررةً العنف بصفته وسيلة دفع الشر الصادر عن الغير، وعصابات الإرهاب هي جزء من مكونات العولمة الأمريكية، وليست جزءاً من مكونات المجتمع السوري حتى بوجود كوادر من السوريين المضللين في جسدها.

ب.س

رأسمالية الأزمة: العالم غير صالح للحياة

■ صدرت أخيراً الترجمة العربية لكتاب المنظّر اليساري الإنكليزي كريس هارمان: Zombie Capitalism: Global Crisis and the Relevance of Marx) (ترجمة غادة طنطاوي ومراجعة وائل جمال)، إلا أن دار المرايا للإنتاج الثقافي، ناشرة الطبعة العربية، اختارت تغيير عنوان الكتاب إلى (رأسمالية الأزمة: دراسة في الاقتصاد العالمي المعاصر). إذ إن مفهوم (الزومبي: الميت الحي) لا يستحوذ من كتاب هارمان إلا صفحات عدّة، على الرغم من أنه يشكّل الإطار النظري للكتاب كلّه.

يخبرنا الكاتب في مقدمته كيف أنه بعد أزمة ٢٠٠٨، بدأ الكلام عن (المصارف الموتى الأحياء)، أي مؤسسات مالية في حالة (غير فانية)، ولكنها غير قادرة على القيام بأي عمل إيجابي، بل تشكل خطراً على الجميع. ويذهب هارمان هنا للقول إن الرأسمالية ككل في القرن الـ٢١ هي بمثابة زومبي، من ناحية أنها (تبدو ميتة حينما يتعلق الأمر بإنجاز الأهداف الإنسانية والاستجابة للمشاعر الإنسانية، ولكنها تظل قادرة على طفرات مفاجئة في النشاط تسبب الفوضى هنا وهناك).

يحمل (الميت الحي) أو (الزومبي) دلالات أساسية لكيفية فهم ماركس للرأسمالية، إذ يقول في المجلد الثالث لرأس المال إنه يجب ألّا يُصوّر الإنتاج الرأسمالي وكأن هدفه الأساسي إنتاج السلع للاستهلاك، ولا إنتاج أدوات التمتع للرأسماليين، هدف الرأسمالية الوحيد هو استخراج فائض القيمة، وبالتالي الاستمرار في النمو وتوسيع حدود عالمها. يرى ماركس الرأسمالية كما يرى هيغل الفكر، مستقلة بذاتها وبأهدافها، لها منطقها الخاص الذي يتطلب وجود عمّال، بشراً كانوا أم غير ذلك. حتى أن ماركس يقول في الجرندريسه، إن وسائل العمل، بعد أن يتم تبنيها في عملية الإنتاج، تمرّ بتحولات عدة تنتهي في ذروتها إلى نظام آلي، هو بذروته يصبح أوتوماتيكياً، (قوى متحركة، تحرّك ذاتها) وأسماه (الأوتوماتون)، وهو مؤلف من أعضاء ميكانيكية وفكرية متعددة، حيث ينتهي دور العمّال بأنهم ليسوا إلا (وصلات وعي) في الأوتوماتون.

عالم الرأسمال ينقلب علينا

يتتبع هارمان تطور مفهوم (الاغتراب) على أيدي فيورباخ وماركس، ويعدّه جوهر (زومبية) مفهوم الرأسمالية لدى ماركس. فقد اعتبر فيورباخ في مؤلفه (جوهر المسيحية) أن الله هو مفهوم صنعه الإنسان لينسب إليه صفات وقدرات هي إنسانية في واقعها، جرّدها الإنسان ووضعها في إله بعيد، ثم ألّف أدياناً لتحدد جميع تفاصيل حياته وحدود معرفته، وبذلك، اغترب الإنسان عن جوهره وحقيقته. أخذ ماركس مفهوم الاغتراب من فيورباخ، ولكنّه اعتبر أن الأخير لم يكن مادّياً بما يكفي، ورأى أن الاغتراب لا يحصل على مستوى عملية تجريد وإبعاد للجوهر الإنساني نظرياً، بل عن طريق عملية إنتاج تجبر العامل على صرف طاقته في إنتاج سلع (غريبة) عنه، قيمتها مرتبطة بالجهد الذي بذله مباشرةً، ولكنها في ذاتها، كمنتج، غريبة عنه، مستقلة. ويشير ماركس إلى أنه كلّما صبّ العامل ذاته في العمل أكثر، فقر (عالمه الداخلي)، أي أصبح مجرد وعاء طاقة إنتاجية ذي وعي. ويقتبس هارمان من ماركس قوله في رأس المال إن (سيطرة الرأسمال على العامل، هي سيطرة الأشياء على الإنسان، سيطرة العمل الميت على العمل الحي)، وتذهب منتجات هذه العملية نحو هدف موحّد، هو مراكمة فائض القيمة، وتوسيع هذا الوحش الميت الحي، أي الرأسمال، عالمه، وبالتالي، استقلاليته عن البشر.

لكنّه ليس مستقلاً تماماً، ذلك لأن طبيعة تقدمه مرتبطة بما يجنيه الرأسماليون (الذي يعتبرهم ماركس في مرحلة ما عبئاً على الرأسمال) من أرباح. وبعد أن يشرح هارمان نظريات ماركس، ويناقشها في إطار النظريات النقدية تجاهها، وفي إطار قصورها عن فكفكة بعد الظواهر التي أتت بعد ماركس، يعود هارمان إلى موضوعه الأساسي، الاتجاه الذي تذهب فيه الرأسمالية اليوم. يقتبس هارمان من ماركس أن (الرأسمال لا يكترث بصحة العامل أو طول عمره، إلّا إذا أجبره المجتمع على ذلك، ويرد الرأسمال على الاحتجاج على التحلل الجسدي والعقلي والموت المبكر وعذاب الإفراط في العمل، بالقول: هل يجب أن ننتزع من هذه الأشياء التي تزيد من أرباحنا؟).

الفرق بين الرأسمال والرأسماليين

يعيد هارمان خفض ساعات العمل التي حاز عليها العمّال، على سبيل المثال، إلى السبب القانوني، أي التشريع من قبل الدولة، وقرار من الرأسماليين للتعامل مع ضغوط صراع تاريخي بينهم وبين العمّال، أو لحل أزمة اقتصادية. وبطبيعة الحال هذه هي الأسباب المباشرة لذلك، ولكن، كما يقول ماركس، إن (النظر إلى الأمور على نحو كلّي، يوضح أن ذلك لا يعتمد على إرادة أفراد رأسماليين جيدين أو سيئين (...) بل على قوانين الإنتاج الرأسمالي، التي تواجه الفرد الرأسمالي على أنها قوانين خارجية). وعلى الرغم من ذلك لا يجري التفريق بين الرأسمال في النظام الذي يمكن وصفه بالميت الحي، والرأسماليين الذين يعدّون جزءاً من المجتمع الذي يضغط على الرأسمال، في مقولة ماركس أعلاه.

في هذا الإطار، يعمل هارمان، في شرحه ومناقشته لأفكار ماركس وكيفية استخدامها اليوم، ثم في نقاشه أزمة ٢٠٠٨ الدائر منذ نشر الكتاب عام ٢٠٠٩، والذي يحاول فيه، على عكس أغلب اليساريين، الحد من أهمية القطاع المالي في إحداث الأزمة، باعتباره لا يختلف عما يحصل في جوهر النظام، معتبراً أن الأزمة هي نتيجة عولمة الرأسمالية على نحو غير مسبوق. كما يؤكد أن تاريخ الرأسمالية حافل بالأزمات. ويضيف إلى المخاطر التي أنتجها التوسع الرأسمالي، الأزمة البيئية ويسهب في شرحها على نحو تفصيلي. وينتهي الكتاب بدعوة للثورة والتحذير من أنه في حال لم يتحقق ذلك، فإن العالم سوف يصبح غير صالح للحياة لأغلب البشرية في العقود المقبلة.

في الخلاصة، فيما باتت الأمور، التي تطرق لها هارمان في هذا الكتاب، موضع نقاش وأبحاث عديدة، ولكنّه لا يزال يشكل مقدمة جيدة لنظريات ماركس وكيفية تعاطي الفكر الماركسي مع الأزمات الراهنة.

ناصر الأمين

* كريس هارمان، صحافي، وكاتب، وناشط سياسي إنكليزي، وعضو في اللجنة المركزية لحزب العمّال الاشتراكي. كان رئيس تحرير جريدة (Socialist Worker) ومجلة (International socialism)، وألف كتباً عدّة منها (أزمة الرأسمالية الجديدة: ماذا يقول الاشتراكيون؟)، و(كيف تعمل الماركسية).

من المستفيد من حرب الرسوم؟ وأيّ سلاح تمتلك الصين ضد الأمريكيين؟

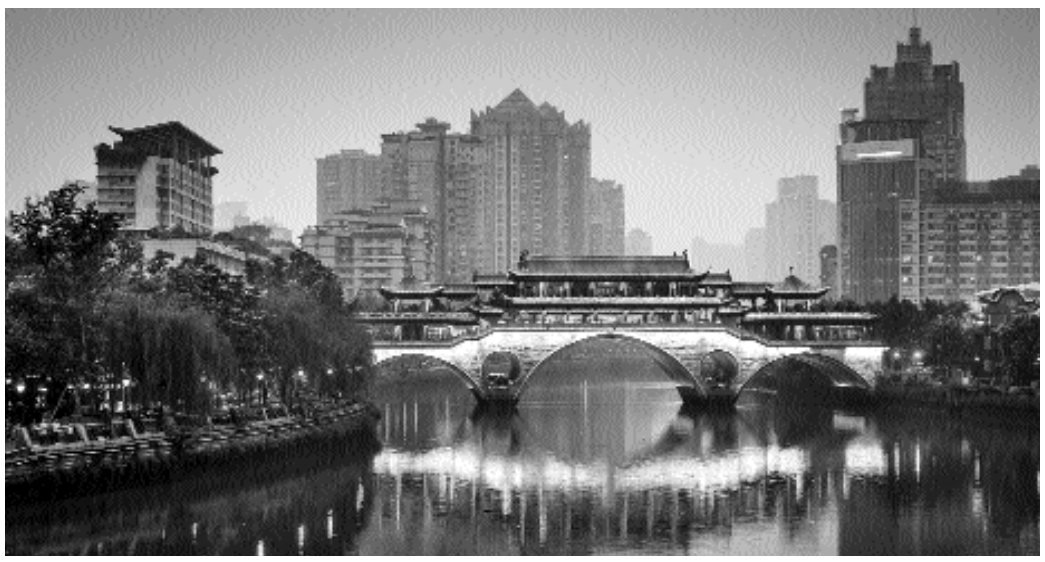

■ تعد الصين أكبر حاملي سندات وأذونات الخزانة الأمريكية، فهي تستثمر في هذه السندات مليارات الدولارات، وقد تكون السندات ورقة بكين الرابحة في حربها التجارية مع الولايات المتحدة. وتظهر بيانات وزارة الخزانة الأمريكية أن استثمارات الصين في السندات الأمريكية بلغت في كانون الثاني (يناير) الماضي ١١٦٨،٢ مليار دولار، مقابل ١٠٥١،١ ملياراً في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧.

وتمثل حصة الصين في السندات الأمريكية ١٩٪، وتتصدر قائمة الدول المستثمرة في السندات الأمريكية متقدمة على دول مثل اليابان وفرنسا والمملكة المتحدة، وفي ظل الحرب التجارية التي تخوضها بكين ضد واشنطن تعد السندات (ورقة رابحة) في هذه المواجهة، لكن المحللين يفضلون عدم استخدامها بسبب التداعيات التي ستحدثها في أسواق المال.

وشبّه المحللون الماليون السندات التي تمتلكها الصين بـ (القنبلة النووية)، وقال أحدهم : (إذا أرادوا سحب المفتاح النووي، وقرروا التخلص من السندات، فسيكون لذلك تأثير مدوٍّ على أسواق المال في الولايات المتحدة، لكنني أعتقد أن استخدام هذه الأداة سيؤدي إلى صدمة تؤثر سلباً على ما يحاولون بلوغه).

ولم يستبعد السفير الصيني في واشنطن (تسوي تيانكاي) إمكانية تقليص بلاده حيازتها من السندات الأمريكية، رداً على قرار الولايات المتحدة فرض رسوم جمركية على وارداتها من بكين. وقال السفير إن (الصين تدرس كل الخيارات، ونعتقد أن الحمائية التجارية سوف تضرّ الجميع بما في ذلك الولايات المتحدة، خاصة الحياة اليومية للمواطن الأمريكي العادي والشركات والأسواق المالية).

يشار هنا إلى أن واشنطن نشرت الثلاثاء الماضي قائمة من ١٣٠٠ سلعة صينية تستورد منها الولايات المتحدة سنوياً (ما قيمته ٥٠ مليار دولار تقريباً)، تعتزم فرض رسوم جمركية إضافية عليها بنحو ٢٥٪، فردّت بكين يوم الأربعاء بفرض رسوم جمركية بنسبة ٢٥٪ أيضاً على ١٠٦ سلع أمريكية تستوردها الصين سنوياً بقيمة مماثلة.

من جهة أخرى، توقعت وكالة (بلومبرغ) الاقتصادية، في تقرير نشرته يوم الخميس، أن تكون المكسيك هي الرابح الأكبر من الحرب التجارية المندلعة بين بكين وواشنطن.

وأوضحت (بلومبرغ) أن المكسيك تملك الفرصة لتصبح أكبر مصدّر لأجهزة التلفزيون المسطحة إلى السوق الأمريكية، ذلك أن هذه الشاشات تندرج ضمن آلاف المنتجات الصينية، التي تستهدفها الرسوم الجمركية المقترحة من قبل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

وفي الوقت نفسه، يمكن للمزارعين المكسيكيين أن يحتلوا مكان منافسيهم الأمريكيين في سوق لحوم الخنزير الصينية، التي تعد أكبر الأسواق في العالم، وذلك بعد أن فرضت بكين رسوماً جمركية إضافية على ١٠٦ من السلع الأمريكية المستوردة، ومنها اللحوم.

واشترى المستهلكون الأمريكيون العام الماضي من الصين شاشات بقيمة ٣،٩ مليارات دولار، ويقول المحللون في (بلومبرغ) إن حصة المكسيك في سوق الشاشات بأمريكا ستنمو بسرعة على حساب الصين، في حال طبقت إدارة ترامب التعريفات الجديدة ضد المنتجات الصينية. كذلك لدى المكسيك فرصة للتمدد في السوق الصينية للحوم الخنزير، بشرط أن تنجح في إبرام اتفاق سريع مع الصين بشأن تزويدها بمنتجات هذه اللحوم.

● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات

بعد تنفيذ اتفاق دوما

تتمة المنشور ص ١

إن انتصار سورية النهائي على الغزو الإرهابي، وعلى محاولات التقسيم، وعودتها إلى لعب دورها العربي والإقليمي، هو هزيمة لا للأمريكيين وحدهم، بل لاستراتيجيات وضعتها الصهيونية العالمية، بالتعاون مع تركيا أردوغان لخلق شرق أوسط جديد، يتناغم مع تطلعات الكيان الصهيوني إلى التوسع والتغلغل في المنطقة العربية، والتنكر لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية في فلسطين.

تصريح ترامب بقرب سحب قواته من سورية لم يؤخذ على محمل الجد، حتى من الإدارة الأمريكية ذاتها، فهذا الرئيس يعمل بعقلية السمسار، وهدفه في النهاية (تشليح) حكام الخليج ثرواتهم، مهوّلاً مرّة بالخطر الإيراني، ومرّة ثانية بخطورة انتصار سورية على الإرهاب، وما يعنيه ذلك من إحياء لمحور قديم جديد، معادٍ للإمبريالية الأمريكية والصهيونية والرجعية في المنطقة.

حكام الخليج استجابوا للابتزاز الأمريكي، كما كان متوقعاً، فضخّوا مليارتهم في جيوب ترامب، بهدف تأجيل انسحابه (المزعوم)، وفبركوا أكذوبة استخدام الكيماوي، ولا ندري بعد ذلك أي ابتزاز آخر سيلجأ إليه الأمريكيون، لكننا متأكدون من أن الشعب السوري وجيشه الوطني ماضون إلى هزيمة مخططات هؤلاء ضد سورية، ومستمرّون في صمودهم ومكافحتهم للإرهابيين المتبقين على الأرض السورية، واستئناف مسار الحل السياسي، بما يضمن وحدة بلادهم أرضاً وشعباً، وسيادتها في مواجهة العدوان التركي الغاشم، وكلّ عدوان.

اتحاد الشباب الديمقراطي السوري في ذكرى تأسيسه الـ ٦٩ : دعوة لمواجهة الجهل والعنصرية وردّ الغزاة الطامعين

تتمة المنشور ص ١

مواجهة شبح الحرب والعنصرية وكل الغزاة والطامعين.

أيها الأصدقاء!

ما أشبه ما تتعرض له منطقتنا ووطننا على وجه الخصوص، بما تعرض له أبناء شعوب أخرى خلال سنوات الحرب العالمية، وما أشبه ماكينة الموت لداعش والنصرة بشقيقتهما النازية الهتلرية وكيان الاحتلال الصهيوني، فكلها قائم على نزعة عنصرية تحتقر الآخر المختلف وتهين الإنسان، وكلها صنيعة القوى الإمبريالية الاستعمارية القديمة المتجددة وتعمل لمصلحتها، وكلها غسلت عقول الكثيرين، من الجهلة والحاقدين، بالكراهية والعنف حتى صاروا وحوشاً لا بشرية متعطشة للدماء. إن دعاة الجهل والموت والطائفية، ومن خلفهم دول الرجعية العربية والكيان الصهيوني ونظام الطغيان الفاشي التركي، مستمرون في حربهم على وطننا وشعوب منطقتنا، في سعي لإطالة أمد الحرب التي قتلت وشردت الآلاف طمعاً بتوسيع نفوذها وهيمنتها، كما أن طبقة من الفاسدين وتجار الأزمات تعمل على مراكمة ثروات طائلة على حساب التشرد والموت والمعاناة لغالبية أبناء الشعب السوري، وليست هذه الشريحة سوى عدو آخر لا يقل خطورة عن كل أعداء الخارج.

أمام هذا الوضع، فإن اتحاد الشباب الديمقراطي السوري، في ذكرى تأسيسه، يجدد الدعوة للشباب السوري ولكل شباب العالم إلى التمسك بالمنهج العلمي والإنساني في مواجهة أمراض الجهل والعنصرية والطائفية التي يحاول أعداء شعبنا تمريرها في ثقافتنا، وندعوكم للانضمام إلى صفوف كل القوى التي تسعى للسلم والعدالة وتحارب الجهل والعنصرية والطائفية، وتسعى لرد الغاصبين والطامعين بوطننا وحق شعبنا.

عاشت الذكرى الـ٦٩ لتأسيس اتحادنا!

الخلود لذكرى شهداء اتحادنا ووطننا!

دمشق ٥/٤/٢٠١٨

بوتين: ضمان تطبيع الأوضاع وإعادة الإعمار

تتمة المنشور ص ١

فيها الولايات المتحدة، تسعى لاستغلال الجماعات الإرهابية مثل (داعش) و(جبهة النصرة) كأداة للسيطرة على المنطقة)، مشيراً إلى أن بعض الدول الغربية قامت بتمويل الإرهابيين وتسليحهم بأحدث أنواع السلاح.

وأضاف أن (الشعبين العراقي والسوري بمساعدة الدول الصديقة أحبطا هذه المؤامرة). وقال روحاني: (خصوم منطقتنا كانوا يخططون لتقسيم سورية، لكنهم لن ينجحوا بذلك.. ونحن لن نسمح به).

وشدد على أن النزاع في سورية لن يحل عسكرياً قائلا: (هذه الأزمة يجب حلها بطرق سياسية فقط. وعلينا أن نبذل جهوداً من أجل إنهاء الحرب في سورية، ومواصلة عملية السلام والقيام بكل ما في وسعنا من أجل عودة اللاجئين إلى منازلهم). وأشار إلى أن (الوضع الإنساني في سورية مأساوي، ولذلك علينا أن نساعد الشعب السوري كي يعيش في أمان). وأشار روحاني كذلك إلى أن مؤتمر سوتشي للحوار الوطني السوري كان خطوة إيجابية ويجب تفعيل ما تم التوصل إليه خلال المؤتمر لاحقاً. وشدد الرئيس الإيراني على أنه لا يحق لأي دولة تقرير مصير سورية، وهذا الحق يعود حصراً للشعب السوري.

8

النور

أسست عام ١٩٥٥

www.an-nour.com
e-mail:annourscs@gmail.com

السنة السابعة عشرة ـ العدد ٨١٠ ـ الأربعاء ١١ نيسان ٢٠١٨

ANNOUR - Wednesday 11 April 2018 - No. 810

فرقة التخت الشرقي النسائي السوري في دار الأوبرا

■ أحيت فرقة التخت الشرقي النسائي السوري، بعد غياب سنتين، وبمناسبة ذكرى تأسيسها الـ ١٥، أمسية موسيقية غنائية بمشاركة كل من الفنانتين سيلفي سليمان، وأحلام ديب (غناء) وعازف الناي إبراهيم كدر، بإشراف الموسيقية وفاء سفر، وذلك في القاعة المتعددة الاستعمالات بدار الأسد للثقافة والفنون.

برنامج الأمسية كان منوعاً، وضمّ مقطوعات موسيقية وغنائية شرقية لعمالقة الزمن الجميل من مصر وسورية الذين قدموا خلال القرن العشرين روائع الموسيقا الشرقية في مختلف أنواع التأليف الكلاسيكي والتراثي والإبداعي.

وتضمن البرنامج (سماعي) (محير) لجميل بك الطنبوري، ومقطوعة (أمل) لعطية شرارة، و(كوكتيل) من أغاني وردة الجزائرية لبليغ حمدي، ودور (أنا هويت) للسيد درويش، ومقطوعة (ليلى) لفريد الأطرش و(زينة) لمحمد عبد الوهاب، وأغنية (جدّدت حبك) لرياض السنباطي.

يذكر أن فرقة التخت الشرقي النسائي السوري تأسست في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ من مجموعة موسيقيات أكاديميات خريجات وطالبات المعهد العالي للموسيقا، وتعنى الفرقة بتقديم القوالب الموسيقية الكلاسيكية سواء الآلية أو الغنائية وبإحياء التراث الموسيقي السوري والعربي بكل أشكاله وقوالبه.

وقدمت الفرقة العديد من الحفلات على أهم المسارح السورية كدار الأوبرا ومكتبة الأسد وقصر المؤتمرات ومسرح كلية الفنون الجميلة وعدد من المراكز الثقافية كالمركز الثقافي الفرنسي والفلسطيني ومكتب عنبر وبيت السباعي والقاعة الشامية في المتحف الوطني في دمشق.

كما كان للفرقة العديد من المشاركات الموسيقية ضمن مناسبات متنوعة في الخارج، وقد مثلت سورية في العديد من التظاهرات والأسابيع الثقافية السورية والمؤتمرات: في هولندا (مؤتمر أمستردام لموسيقا الشرق الأوسط) وفي اليونان والصين وألمانيا والإمارات العربية المتحدة وإيطاليا والأردن ولبنان والبحرين.

تراتيل إلى القديس مارون

■ منذ أن بدأ استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، انوجد مصاصو دماء الشعوب، وعملوا، ويعمل ورثتهم، على إفقار الشعوب، وإذلالها، والبطش بمتنوريها، حتى ولو كانوا قد فارقوا الحياة!

ذرّ ظلاميو العصر العباسي، رماد جثة الحلاج، في ليلة عاصفة في سماء بغداد!

ذوّب جسد فرج الله الحلو بالأسيد!

طرد يسوع الناصري، اللصوص وقطاع الطرق، من الهيكل المخصص للعبادة، فصلبه هؤلاء السفلة فيما بعد!

اسحقوا كل البراعم الغضة!

ينفذ الكيان الصهيوني هذه التوصية، بكل حذافيرها وفاء لأرباب المال.

وقعت في لبنان قوتان فاعلتان على ورقة تفاهم، في كنيسة مار مخايل، وهاتان القوتان هما حزب الله والتيار الوطني الحر. إن هذا التفاهم بين حزب التيار الوطني الحر برئاسة الجنرال ميشيل عون رئيس الجمهورية اللبنانية، والأمين العام للحزب حسن نصر الله، يزيد في قوة لبنان لدرء الاخطار الخارجية والداخلية عنه، ويساهم في تعزيز حركة التحرر الوطني العربية.

عملت أيها العظيم مار مارون على الأرض، والعطف على الفقراء، والمحرومين، ولايزال قسم كبير من الناس، متأثرين بوصاياك!

ولما ترجلت أيها القديس، ووري جسدك الثرى، فأصبحت معلماً يؤمّه المحبون والمريدون!

فجر كل ذلك حقد التكفيريين، تكفيريّي عصرنا، فانقضّ أردوغان وجلاوزته على ضريحك ومصلاك، وما جاورهما من عاديات، بأفتك أنواع الاسلحة المدمرة!

المجد كل المجد، لك أيها الإنسان مار مارون!

محمد أمين أبو جوهر

في حب الوطن

■ في مأثورنا الروحي، ينهض قول تاريخي مشهور عنوانه: (حب الوطن من الإيمان).

كيف يُقرأ هذا المأثور قراءة سياسية؟

كيف يكون فضيلة سياسية، بعد أن أنتج في عصر له شرطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، في ظرف تاريخي محدد، وقد أخذ به كفضيلة دينية، وأخلاقية؟

بل كيف نقرأ هذا المأثور ليكون: فضيلة سياسية؟

وهنا، نوائم بين مأثور تاريخي، أنتج في ظرف كانت فيه قيم الفروسية والنبل تقوم على التضحية والكرم والفداء والبطولة، وكانت فيه قيم (الشرف هو النابض الذي يحرك قيم الحكومة الملكية).

كيف تكون قيم الفروسية في الدولة الجمهورية، دولة الحق والقانون، وكيف تكون الفضيلة؟

هنا، سنحاول قراءة هذا المأثور قراءة معاصرة، قراءة سياسية تاريخية.

حب الوطن، هنا فضيلة، وفضيلة سياسية.

لأن حب الوطن هو حب المساواة، وهنا نتحول أو ننتقل من فضيلة خلقية دينية فطرية مطلقة، إلى فضيلة سياسية، والفضيلة السياسية هي محرّك القيم والمبادئ الجمهورية.

وكان مونتسكيو أول من أطلق اسم (الفضيلة السياسية) على حب الوطن والمساواة! (إذ يقرن مونتسكيو مفهوم حب الوطن بمفهوم المساواة، المساواة في الحقوق، والمساواة بالحقوق أمام القانون) ومنه المساواة في القانون.

لذلك (كان حب الوطن حباً للمساواة، وهي في المعنى نفسه، والمبنى ذاته (المساواة السياسية) وهذا المعنى الذي أريده للقول المأثور (حب الوطن من الإيمان).

والمساواة السياسية هنا هي (مقدمة لازمة وشرط ضروري للمساواة الاجتماعية)، (فمن دون قانون عام يطبقه الجميع، ويسود على الجميع، ويدافع عنه الجميع، ويحقق المساواة بين المواطنين / ت أمام القانون)، ليس هناك وطن، ولا وجود لمواطنين، بل أرض يعيش عليها (لمّة سكان) يتنازعون عليها، كائنات طبيعية متساوية في حيثيتها الطبيعية).

في النظام الجمهوري، بقيمه التي تعلي المساواة السياسية والعدل والحرية واحترام حقوق الإنسان، في دولة الحق والقانون والمؤسسات، حيث يتساوى البشر كمواطنين أمام القانون، وفي القانون، ينتظم البشر في الاجتماع السياسي، وتقرّر وتصان حقوقهم وحرياتهم السياسية والمدنية، فيصبحون مواطنين، لا رعايا، ويكون لهم وطن بدلاً من أرض لجوء أو منفى.

حسن رفاعة

تكريم الفنان ذياب مشهور

■ أحيت فرقة التراث السوري للموسيقا بقيادة المايسترو نزيه أسعد أمسية موسيقية لتكريم الفنان القدير ذياب مشهور، على خشبة المسرح المغلق بمجمع دمر الثقافي.

كانت البداية مع المطرب نضال مداد، الذي قدم أغنيتين هما (ويلي يا ويلي) و(لأهلنا).

وقدمت المغنية الشابة وسام الحمصي أغنيتين من مكتبة مشهور، وهما (هي لي) و(يا بورديّن) اللتين تعبران عن الخط الغنائي الذي اختاره مشهور بأداء اللون الفراتي بصورة تتناسب مع ذوق الجمهور السوري عامة وتحمل خصوصية في الوقت ذاته.

وقدم المطرب عبد الوهاب الفراتي بصوته ٦ من أغاني مشهور التي يحفظها الجمهور، مثل (طولي يا ليلة، وعالمايا) مضيفاً إليها تلوينات بصوته الذي ينتمي بشدة إلى منطقة الفرات ويعبر عما فيها من شجن وعاطفة.

يشار إلى أن الفنان ذياب مشهور من مواليد دير الزور، وهو صاحب خط مميز وخاص في الغناء الفراتي، قدّم أغاني كثيرة اشتهرت على مستوى الوطن العربي منذ ستينيات القرن الماضي، واشترك في عدد من الأعمال التلفزيونية السورية، مثل (صح النوم، وملح وسكر) كما تعامل مع كبار الملحنين السوريين أمثال زكي محمد وسهيل عرفة وعبد الفتاح سكر وأمين الخياط، ولحن وكتب بعض أغانيه، وطور بعضها عن تراث دير الزور، واعتزل الغناء عام ٢٠٠٤.

قاسيون

ها نحن في دمشق..
لا أعرف لماذا نقف أمامها صاغرين
وكأننا أولادها الصغار المذنبين
ولماذا نحن الذين نحبها نبدو منها خائفين
مادمنا واثقين
أنها ستقبلنا.. كما في كل مرةٍ
مجرمين وتائبين
ها نحن في دمشق..
وهذا ابنها الوحيد لشقيقات كثيرات
كم هو سعيدٌ بهنّ الآن
إنه الأخ الحنون
ففي كل يوم.. يقرأ أسماءهن على فوانيس السرافيس
ليطمئن أنهم ما يزالون
على قيد الحياة!
أعجبته الوحدة
فهو اليوم شاهد العيان الوحيد
على أول جريمة في التاريخ
فحين أنجبته الشّام
قتل الأخ أخاه... فشهق حزناً على القتيل
وبقي فاغراً فاه في مغارة الأربعين
يقول لكل من يراه: هنا قابيل قتل هابيل
أما دمشق فما كان منها
إلا أن تسمي ابنها (قاسيون)
لتعرف الآلهة..كم هم البشر
قاسيون!

محمد هلال

قلبي يطفو

افتح كل النوافذ نحو البحر
لا تخَفْ
فالروح تطفو في الهواء
وحدها الذنوب تغوص إلى الأعماق

تترك أثراً في قلبك الشقي
كابتسامة قاتمة..
لا تخف
فالروح تطفو
والقلب من خشب

يبتلّ ولا يغرق
دع البحر يجتاح..
نحن هفوات زمنية
دومات من تراب
عبق يتلاشى.. ويتجدد..

مدّ وجزر..
الذنوب تحجب الجبين
ترسمنا.. مخطوطات مكابرة
افتح كل النوافذ نحو البحر
نحو الأعلى والهواء

الروح تطفو
وقلبي من خشب
منقوش بالضياع
شراييني سمراء محترقة
وحدها النجوم تضيء فينا

ثقوباً.. غباراً.. وشتاتاً..
قلبي يطفو..
قلبي المعنّق يطفو..

ميرامار الصالحاني

السعادة.. حبٌ .. تضحية... وليست تقريراً اقتصادياً!

■ السعادة ليست تقريراً يضعه البشر وفق معادلاتهم وسياساتهم، السعادة لا تكمن في المثالية والكمال، السعادة في الاحترام والتضحية والمحبة يكمن نورها، السعادة أن يكرس الإنسان محبته وعمله لخدمة مجتمعه بكل صدق وتفانٍ، السعادة يصنعها الإنسان عندما يتصالح مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به، فمن الجميل أن نرسم الابتسامة على وجوهنا مع بداية كل نهار جديد، ونمنح من نقابلهم التفاؤل بكل حب، فاليوم قد بتنا نبحث عن الهموم التي ترضينا، لكننا عندما نغربلها فهناك منها ما لا يرضينا سواء شئنا أم أبينا، وصراحة بيننا وبينكم الهم الكبير اليوم أنهم يقارنونا مع الفنلنديين بالسعادة! فوفق تقرير السعادة العالمي الصادر عن شبكة حلول التنمية المستدامة التابعة للأمم المتحدة، الذي حصلت فيه فنلندا على المركز الأول بأنها أسعد بلدان العالم، حصلت سورية على المركز الثاني بوصفها أتعس بلد عربي، وجاءت الإمارات العربية المتحدة الأولى عربياً بالسعادة.

وكما تعرفون، أين كان الفنلنديون ودول الخليج عندما خلقت السعادة ببلدنا السوري؟ عندما صدرت حضاراتنا الحب والمعرفة إلى بلدان العالم؟ عندما كنا نحنُ السعادة والسعادة نحنُ، من طلوع الشمس وكل الأمس... سوريا وبس، بصوت عالي وحتى همس، من ضيعتنا الغالية أوغاريت التي كانت كل العالم بزمانها، والتي قال شاعرها بصوته:

لبعد السماء، لا تدركها اليد
لعمق غور الأرض... لا يدركها أحد
حياة بلا نور، فماذا تزيد على الموت؟
مقابل سعادة يوم، أيامٌ من الدموع
وهاهي السنة تجري وفيها ألف علّة
الناس، ما يفعلونه، لا يعلمونه بأنفسهم
معنى أيّامهم ولياليهم كامنٌ عند الآلهة!

صحيحٌ أن في هذا الشعر الأوغاريتي الذي عمره ٤٠٠٠ سنة، بصمة تشاؤم، لكنّه فلسفة تعلّم الدنيا السعادة... السعادة التي لا نحصل عليها إلا بتعبنا وشقائنا، وكلما شقينا بالوطن، يبقى هو سعادتنا ونحنُ سعادته، نحن مبسوطون بوطننا لأننا فيه وهو فينا، وهذا يكفينا، كما غنته فيروز: (بالحب معمّر بلدي!). كما للأوغاريتيين فلسفتهم في السعادة فلنعد إلى زمن السومريين الذين كان لهم أيضاً فلسفتهم الخاصة بالسعادة، فالحكيم السومري قال: (من ملك ذهباً كثيراً فقد يكون سعيداً، ومن ملك قمحاً كثيراً فقد يكون سعيداً، ولكن من لا يملك شيئاً في وسعه أن ينام).

رحمكن الله يا جدّاتنا ويا أمهاتنا أينما كنتنّ! فكيف لنا أن ننسى سنابل القمح وحجر الطاحون عندما كان تحت أيديكن يدور ويطحن القمح المنتور، وهي تعجن بحبكن لنا خير الأرض، خبز تنور ومحبة، خبزاً غالياً على قلوبنا! وبعد خبز التنور المغمّس بالنور، ليس هناك أطيب من فنجان قهوة الصبح الذي يشعرنا بالحب والسعادة والشوق لنعيش يومنا بكل تفاؤل رغم كل الحرب والوجع.

فالحب هو أجمل شيء في الحياة، إذ يمنح قلوبنا وأرواحنا السعادة.

سليمان أمين

من القلب إلى القلب

عماد نداف

مرارة الحديث عن المرّ!

إلى الصديق سعيد قطرية

***

قبل أن أنتظم في زياراتي الأخيرة له. كان غاضباً. فأي زمن هذا الذي لا يزور فيه الأصدقاء أصدقاءهم! وعدد بشار أسماءهم، وتلك أسماء كانت تفتح على الحكايات، ولكنها بالنسبة له تفتح على المعنى: فلماذا لا يزورونني؟! كما سألني.

(أيمن، مضر، بلال، فرج، وأنت! تغيبون شهراً أو شهرين أو حتى ثلاثة أشهر. وماذا بقي من الحياة إذاً؟!)

وسألني باندهاش:

– أتعرف ماذا فعلت الوحدة بي؟! وأجاب عني:

– جعلتني أجنّ!

وروى لي حكاية الوحدة مع المرض:

– في الليل يتحول الفراش إلى جحيم، أدور بين جدران البيت أبحث عن الصباح. وعندما يأتي الصباح تتوارد حرائق الأسئلة.. تشتعل حرائق العزلة. ولا معنى للفجر أبدا في هذه الحالة. الفجر بالنسبة لي مجنون يلقي بنفسه في لجّة النهار!

سألته:

– لماذا لا تكتب رواية؟!

لم يرد على سؤالي. بل طرح هو سؤاله:

أتذكر يوم كنا في مقتبل العمر، فنذهب إلى البحر لنرى الفجر؟! كان صديقنا رضا يحب الفجر لأنه شاعر، وكنت أنت تحب الفجر لأنك كاتب. أما نحن فكنا نريد أن ننام!

يطوي بشار حديثه. ثم ينهض كأن شيئاً قد أصابه بالمسّ. فأحسست أننا وحيدين في البيت..

بالفعل ذهبت زوجته لتشتري له الدواء، وذهب ابنه عبد القادر ليشتري أشياء للبيت. بقيت أنا وهو، وفنجانان من القهوة الأول ممتلئ والثاني فيه بقايا. تعالى صوته بصخب أجش كأنه يحكي عن وجع لا أعرفه. فقال مستسلماً:

– اتركني! اترك وحش الألم يأكلني!

قلت وأنا أحاول أن أخفف عنه:

– أريد أن أتعلم منك.. من آلامك سأصارع أنا هذا الوحش!

يضحك مكابراً، ويردد:

– الوجع لا يؤلم إلا صاحبه!

***

أربعون دقيقة مرت .. وقت يكفي للوداع. لوحتُ له بيدي. لم ينتبه أحد إلى ذلك. شقيقه سعيد شاهدني، فردد، وهو يبتسم ابتسامة مرة:

– أي وفاء بينكما!

واقترب مني وعانقني..

مضت جنازة بشار في شوارع دمشق. كان وسيماً، أنيقاً، معطّراً، لا يهاب هذه الرحلة الأخيرة إلى المقبرة. كان يحب الحياة رغم مرارة الوجع الذي حاصره مذ كان طفلاً. لذلك كان يبتسم حتى وهو في الجنازة.

والجنازة لا تعني الكثير للميت. هذه الحقيقة التي قالتها لي أمي التي توفيت قبل سنوات. قالتها لي عندما كنت صغيراً: (الميت يظن أنه يمشي مع المشيعين حتى يغلق القبر على جسده، فيهمّ بأن يغادر المقبرة معهم، يصطدم رأسه بالبلاطة، ليعرف أنه هو الميت، ويردد: إن الله حق!).

ربما كان نائماً. من يدري؟ قبل أن يلف بكفنه ودعناه وكان وجهه الدافئ يبتسم. وعندما مشت الجنازة ناديت:

– الله معك يا بشار!

وسمعت صوت المنادي ينادي:

– الفاااااتحة!

في المقبرة. وكان جسده قد أصبح صغيراً داخل كفن أبيض. سمعت صوته. لم يسمع هذا الصوت غيري:

– أنت لا تعرف شيئاً عن الموت أبداً!

من يصدق؟!

فتح حفار القبور الكفن في آخر مراحل الدفن، فظهر وجهه. كان بشار متضايقاً. تلون وجهه بلون رمادي داكن. قال لي لآخر مرة، والتراب ينهار فوقه:

– أنا لا أحب هذا المطرح!

imadnaddaf@hotmail.com

(نشرت هذه الزاوية في موقع بوابة الشرق الأوسط الجديدة)